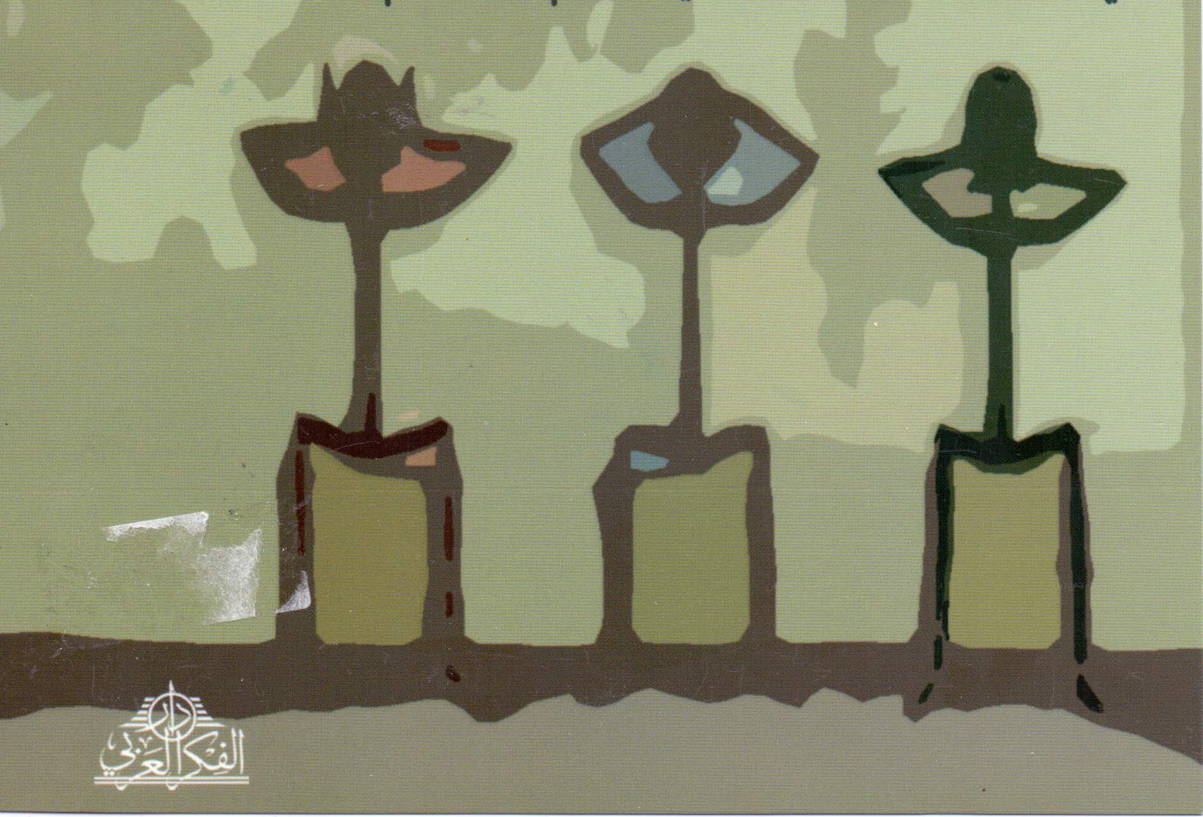


لسنا فاكهتهم المفضلة

فهل تغريهم شجرتنا

تهاني ثنيان العايش

إننا نقتات الحاضر، على أساس أنهُ لقمة اشتهيناها
في الماضي، فنحنُ نتشبث بالماضي أيّاً كان ونقدسه
وبذلك يتجمَّد الحاضر ويتيه المستقبل .
لأننا لسنا مشدودين إلى فهم هذا الماضي وأنه
فكر انطلق من خلال أناس كانت لهم تجربتهم
الثقافية، وقد تكون هذه التجربة محدودة ومحصورة
في نطاق مختلف ضيق يخصهم لوحدهم.



لسنا فاكهتهم المفضلة
فهل تغريهم شجرتنا؟

ⓒ تهاني العايش، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العايش، تهاني
لسنا فاكهتهم المفضلة فهل تغريهم شجرتنا؟ ./ تهاني العايش - الدمام، ١٤٣٣هـ
.. ص : .. سم
ردمك: ٦-٩٣٣٦-٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - المقالات العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٠٨١ ١٤٣٣/١٧٠٧

رقم الإيداع: ١٤٣٣/١٧٠٧
ردمك:٦-٩٣٣٦-٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨

دار الفكر العربي للنشر والتوزيع
الإدارة العامة - الدمام
تليفون: ٠٣٨٣٣٨٤٤٩
فاكس: ٠٣٨٣٣٥٤٤٠
مسؤول النشر: تليفون ٠٥٩٢٦٤٩١٢٢

دار الفكر العربي للنشر والتوزيع

Alfeker - Alaraby Publishing house
General Admination - Dammam
Tel: 038338449
Fax: 038335440
Publisher: 0592649122

www.daralfkr.com.sa

dar.al.feker@gmail.com
dar.al.feker@hotmail.com

مدونة دار الفكر العربي
واحة القلم الحر
http://www.feker.com.sa

الإشراف والإخراج الفني **دار الفكر العربي**

لسنا فاكهتهم المفضلة

فهل تغريهم شجرتنا؟

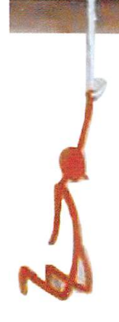
الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

تهاني العايش







إهداء

إلى من أنقذ « أفكاري الهاربة » من لهيب جهلهم...

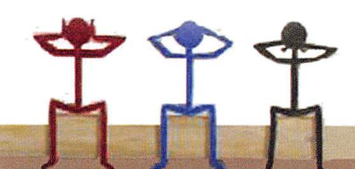
إلى مدينة تكتظ بالمشاعر, لكنها دوماً تتسع للجميع (أمي).

إلى رجل وجدت هويَّتي على خارطة ملامحه (أبي).

إلى روحين لم تعرفا غير سبيل الله يوماً. (ديمة) (فاطمة).

وإلى كُل الحكايات القديمة . شُكراً على تفاصيل الألم.

تهاني ....





ديباجةُ القول

((لسنا فاكهتهم المفضلة. فهل تغريهم شجرتنا؟!

عندما جالت داخل عقلي فكرة حشد حروفي لأجل هذا الموضوع بالذات، وضمها داخل كتاب يقيها شر التشرد، كان هذا السؤال هو أول ما تسارع للظهور قبل أن يتقافز أمامه إخوته، فيكونوا عصبة أمارة على التوغل في ثنايا هذا البحث قدر المستطاع. وقبل أن نسترسل في محاسبة النفس، ونقف أمام مرآة الحقيقة، علينا أن نبصر الموضوع بمنظور واقعي، ونشك ولو لمرة في النيات المقابلة لنا، وإن كان مجرد امتثالٍ لحكمة "١" ديكارت: «للبحث عن الحقيقة يلزمنا أن نشك ولو لمرة واحدة في حياتنا، أن نشك في جميع الأشياء ما أمكن الشك»!

وعن طريق ذلك نعرف حرية إرادتنا، لا بالدليل إنما بالتجربة!

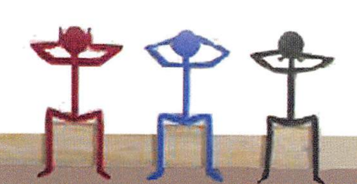
لماذا قد يحاورنا الغرب؟

أو بصياغة _أدق_ لماذا قد يتحمس الغرب للحوار معنا؟

كيفَ لنا أن نبتغي معهم حواراً ونحن راكعون على ركب خوفنا، نستجدي عقل الآخر ونتوقع بعدها أن يكون ذلك الحوار حضاريّاً، لا حوار المتوسل لمن يهبهُ ذرة حلم؟!

حين أغمضنا أعين عقولنا عن حقيقتنا وواقعنا المر وعن الوطن الكبير المنبسط جرحاً وعجزاً، أغمض العالم بأكمله عيون عقله تجاه كلماتنا..!

وبالرغم من أن هذا الزمن هو زمن الكلام بامتياز، فهناك حوار يدار بين الشرق والغرب، وحوار بين الإسلام والمسيحية، وحوار بين الأنا والآخر،



وحوار بين أوروبا وبلدان المتوسط ، وحوار بين أميركا والعرب، وحوار بين الأشقاء، وحوار بين الأعداء، إلا أننا نجد أصواتنا ضعيفةً جدّاً وسط هذا الصخب.

فهل يحقق كل هذا الضجيج أهدافه؟

أم أنه يتحول إلى حِوار قوم صم بكم لا يفقهون؟

ترى كيف يمكن أن ننتقل من الحِوار إلى وعي الحِوار الحقيقي ونحقق الغاية منه؟

كنت أتذكر في خضم تلك التساؤلات، حكمة صينية قديمة تقول: «إذا طلب منك التلميذ كوب ماء، أعطه نصفهُ فقط، حتى يطلب منك النصف الآخر».

وسر تلك الحكمة هو ألا نقدم للآخر شيئًا هو لا يرغب فيه أصلاً، أو يكون قد اكتفى منه، فيفقد قيمته عنده!

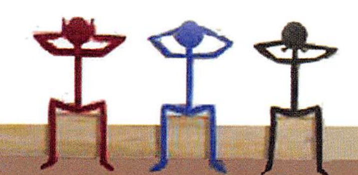
وربما هذا ما صنع الفجوة الحقيقية بيننا وبين الغرب، فمثلاً حين نتحدث عن (الأدمغة العربية) التي تهرول نحوهم، وهي التي نراهن عليها كي تكون منابر الحوار الأول معهم، نجد أنه قد أشارت آخر الإحصاءات إلى أن هجرة الكفاءات الراقية والأدمغة العلمية من العالم العربي إلى الولايات المتحدة وحدها ٣١ بالمائة من مجمل أبناء «العالم الثالث». وهناك أكثر من مليون عربي من حَملة شهادة الدكتوراه، بعد إنهائهم دراستهم فضلوا البقاء في الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية.

والمروع ما نشر مؤخراً عن إحصائية يجب أن تجعل النوم يفر بعيداً عن أعين الـ ٣٠٠ مليون عربي، والصادحة بأن ٣٤ بالمائة من الأطباء الاختصاصيين في بريطانيا، ينتمون إلى الجاليات العربية.



((فهل يمكن أن نجذب الغرب ونقنعهم بأن فاكهتنا صالحة للأكل، في حال فر أبناؤها نفورًا من مذاقها وبحثاً عن فاكهة تغنيهم عنها وعن قوم يتكلمون لغتهم ذاتها؟! وكيف يمكن أن نزيل عنهم مفهوم (الفوبيا الإسلامية) _إن صح التعبير_ والخروج من نطاق حكمة «٢»سارتر: «الجحيم هم الآخرون»؟

والتي شاعت على ألسنة وحروف كثير من رواد الإعلام الغربي في القرن الحادي والعشرين بالإشارة غير المباشرة في تعامل الآخر معنا، ما بعد أحداث ١١ سبتمبر)).

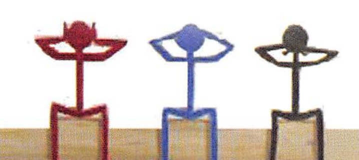




الفصل الأول

الحوار كعلم

أن تكون إنساناً، بمعنى ألا تعزل نفسك عن الإنسان الآخر. كُن من شئت فيما تنتمي إليه ديناً أو تنتمي إليه سياسةً أو ثقافةً، ولكن لماذا تعتبر نفسك وحدك من يحق له الانتماء إلى ما يريد أن ينتمي إليه؟ فإذا كان الاختلاف معي من حق الآخر؛ لماذا لا أملك هذا الحق في المقابل لأعبِّر عن وجهة نظري وما أفكر فيه وما أطرحه من رأي؟



الفصل الأول

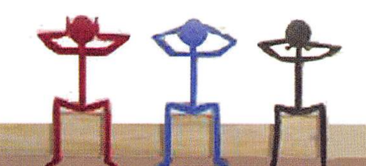
الحِوار كعلم وفلسفة تاريخية:

*تقليب صفحات الحوار، يقينا شر الجهل به.

* بحث الحِوار مع الغرب:

(١) إن أهمية البحث في الحوار مع الغرب تكمن في كون الزمن لم يعد يحتمل التوجس من المصارحات والمكاشفات لأجل بناء ثقافة تحترم الإنسان بغض النظر عن دينه ولونه. والحياة والواقع وسنن الله في الكون ترفض مديح الكراهية، وأي فلسفة تقوم على نقاء الذات وتدنيس الآخرين، لذلك لابد من ثقافة واقعية تؤمن بالتعددية، كما أن أحداث الثلاثاء الأسود (١١) أيلول التي أفصحت عن ثقافة الكراهية المنتجة للصدام وفق ثنائية مضحكة هي «معي أو ضدي»، تجعل الفريضة الأولى لكبح جماح المتعصبين والمتنطعين هي في تفويت الفرصة عليهم، وذلك بتواصل شريف ونزيه بين الغرب والشرق، وفق قواعد مشتركة ومصالح بمصالح، كما أنه لا يمكن للعالم أن يكون أكثر أمناً وهو يدار بمقتضى رؤية تنحو نحو الصراع، وتؤمن بنهاية وشيكة للتاريخ. لا بد أن تُبنى على معركة فاصلة حيث ينتصر الخير إلى الأبد، وينتهي الشر إلى حيث لا رجعة. ((وقبل خوض غمار النقاش في ماهية الحوار مع الغرب، **نحتاج لاستيعاب معنى الحوار كعلم قائم بذاته له قواعده وضوابطه وأهدافه والتي بتحقيقها تتحقق الغاية منه**)).

> نحتاج لاستيعاب معنى الحوار كعلم قائم بذاته له قواعده وضوابطه وأهدافه والتي بتحقيقها تتحقق الغاية منه.



* **الحوار كعلم، وفلسفة عميقة:**

(١) **أن تكون إنساناً**، بمعنى ألا تعزل نفسك عن الإنسان الآخر. كُن من شئت فيما تنتمي إليه ديناً أو تنتمي إليه سياسةً أو ثقافةً، ولكن لماذا تعتبر نفسك وحدك من يحق له الانتماء إلى ما يريد أن ينتمي إليه؟ فإذا كان الاختلاف معي من حق الآخر؛ لماذا لا أملك هذا الحق في المقابل لأعبّر عن وجهة نظري وما أفكر فيه وما أطرحه من رأي؟

إنّنا نعتبر الذين يرفضون الحوار مع الآخرين أناساً يعيشون «العجز الثقافي» _ إن صح التعبير_ والضعف الفكري، لأنك عندما تمتلك الفكرة وتعتز بها، وتملك وضوح الرؤية فيها، فإنّك تتقدّم إلى العالم ليُقدِّم، حتى يستمع العالم إليك فيما تفكر وتسمع وتعبر، وفيما يريد العالم أيضاً أن يسمع ويُعبِّر.

(٢) الحوار يقدمُ نفسهُ كعلم:

(أ) تعريف الحوار:

(٢)» إن الحوار والجدال لهما دلالة واحدة.

وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى:

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة:١]. ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍّ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي.

> عندما تملك الفكرة وتعتز بها، وتملك وضوح الرؤية فيها، فإنك تتقدّم للعالم ليُقدِّم، حتى يستمع العالم إليك فيما تفكر وتسمع وتعبر، وفيما يريد العالم أيضاً أن يسمع ويُعبِّر.



والحوار والمحاورة مصدر حاور يحاور، ومعناه لغة الجواب والمجادلة، قال ابن منظور: «وهم يتحاورون؛ أي يتراجعون الكلام. والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والمحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة».

والحوار كلمة تستوعب كل أنواع وأساليب التخاطب، سواء كانت منبعثة من خلاف المتحاورين أو عن غير خلاف؛ فهي تعني المراجعة في مسألة موضوع التخاطب، وعلى هذا فالحوار يدلل على التقارب والصداقة.

(ب)الحوار لغةً واصطلاحاً

أولاً: الحوار في اللغة:

يعني تراجع الكلام، وفي "[٣]" لسان العرب: (وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)

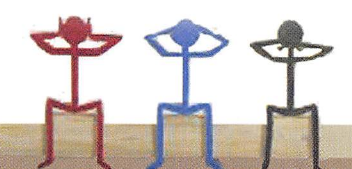
ثانياً: الحوار في الاصطلاح:

هو المعنى اللغوي السابق نفسه، فهو إذاً: مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة. أما الجدل؛ فهو: (إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة).

وربما فُرق بين الحوار والجدل فقيل إن الجدل:

الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام.

ويفرق العلماء بين الحوار والجدل حيث إن الجدل مظنة التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق وبالباطل والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق إذا برز من الاتجاه الآخر.



فيما نجد أن الحوار عنوان من عناوين التقارب، وقناة من قنوات التواصل المجتمعي، وركيزة من ركائز بناء الثقة، وتقريب وجهات النظر.

ولذا يجب على الحوار الناجح أن يركز على مواطن الاتفاق لا مواطن الافتراق لأن ذلك:

١- يعتبر طريقاً إلى كسب الثقة وإفشاء روح التفاهم.

٢- يفتح آفاقاً من التلاقي والقبول والإقبال.

٣- يقلّل الجفوة ويردم الهُوَّة ويجعل فرص الوفاق والنجاح أفضل وأقرب.

٤- يجعل احتمالات التنازع أقل وأبعد.

٥- يجعل ميدان الحوار واسعاً وأمده طويلاً.

٦- يؤلف بين القلوب ويصفيها ويقضي على كل مظاهر البغض.

٧- يعمل على تقوية روح التنافس في تحقيق الأهداف ويقضي على ظاهرة التناحر السلبي بين المتحاورين.

٨- يطور برنامج العمل المشترك بشكل تتقلص فيه بؤر التوتر والخلاف.

(جـ) مدلول الحوار:

مما سبق يتبين أن الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء أكانت تبادلاً رسميّاً أم غير رسمي، مكتوباً أم شفهيّاً. وينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها. ومن هذا الفهم يمكن أن يطلق الحوار على تشابك بعض الثقافات مع بعضها الآخر وما يحصل جراء ذلك من تلاقي المتحاورين وتصويب بعضهم لبعض وتأثير بعضهم في بعض بشكل يعزز عرا الوحدة المصيرية، ويقوي سياج المجتمع من الداخل، ويحصنه ويحميه من كافة المؤثرات السلبية الخارجية، وكلما كان الحوار بين الإخوة أصحاب الهم



يجب أن يركز الحوار الناجح على مواطن الاتفاق لا مواطن الافتراق.

الواحد، والقضية الواحدة، والمصير الواحد رغم اختلافاتهم الفكرية ومشاربهم السياسية، نابعاً من إرادة ذاتية غير موجهة، أو منحازة إلى طرف على حساب طرف آخر؛ كانت ثمار هذا الحوار أطيب، ومعدنه أصلب».

(د) أهداف الحوار ومقاصده:

إن للحوار أهدافاً ومقاصد يسعى المحاور إليها وراء حواره مع الآخر. ويمكن أن نجمل هذه الأهداف فيما يلي:

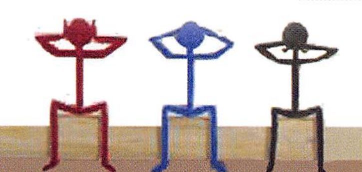
أولاً: الأهداف المباشرة للحوار في نطاقه العام:

١- إقامة الحجة: الغاية من الحوار هي إقامة الحجة ودفع الشبهة ودحر الفاسد من القول والرأي. والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

٢- الدعوة: الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس قال تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[النحل:١٢٥].

٣- تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسطي يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر.

من أهداف الحوار الإستراتيجية تصحيح الصورة التي روجت مشوّهة عن العقيدة والحضارة.



٤- كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، كما قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام:٥٥].

ثانياً: الأهداف الاستراتيجية للحوار في نطاقه التأسيسي هي:

١- **هدف عقائدي:** وهو تصحيح الصورة التي روجت مشوهة عن العقيدة والحضارة.

٢- **هدف سياسي:** يتمثل في منع إقصاء الآخر.

٣- **هدف اقتصادي:** يتمثل في إثبات الذات وتحقيق الاستقلال.

٤- هدف إنساني: خلقي يتمثل بالسير في الأرض للتعرف على الآخر، والاحتكاك به، والنظر فيما عنده، والاطلاع على ما أنجز ماضياً وحاضراً.

*** الحوار يبدأ من الداخل:**

(١) الحوار مع الذات:

حين ندرس واقع القوم، نجد أن غالبيتهم لم يختاروا ذاتهم في معنى الغنى الذاتي للإنسان، بل إنهم عاشوا ذاتهم ولكنهم انطلقوا على أساس أن يتبعوا الصوت ليكونوا الصدى ويمارسوا ما تمليه عليهم العادات والتقاليد والأعراف السائدة، لذلك فمسألة أن تحاور نفسك هي أن تقتحم الفكر الذي قد لا يكون فكر الرغبة، ((أو تقتحم العاطفة التي قد تكون نزوةً ولا تكون عمقاً في معنى الروح، وتواجه (الأنت) مواجهة الأنداد تجادله وتحاوره حتى تصلا إلى نقطة التقاء تُسيّران الحياة على أساسها بكل قناعة ورضا من كليكما؛ خير لك من أن تدخل في مشروع ما، هنا وهناك أو تخوض تجربة ما، فتكتشف أنها لا تمثل ما تتطلع إليه من مستقبل وأنك ما خضت غمارها إلا وفق أهواء ما هو سائد، لا ما تريده أنت)).



> إن من الحكمة عدم تسريب المشاعر السلبية نحو الأبناء، وهم عماد المستقبل، وما نراهن عليه في الغد القريب، كي يكونوا خير رسل لنا في مواجهة التحديات المعاصرة.

ولعل مشكلتنا في هذا الاجترار الثقافي للماضي والسائد ((أننا نقتات الحاضر، على أساس أنه لقمة اشتهيناها في الماضي. فنحن نتشبث بالماضي أيّاً كان، ونقدسه، وبذلك يتجمَّد الحاضر ويتيه المستقبل، لأننا لسنا مشدودين إلى فهم هذا الماضي وأنه فكر انطلق من خلال أناس كانت لهم تجربتهم الثقافية، وقد تكون هذه التجربة محدودة ومحصورة في نطاق مختلف ضيق يخصهم وحدهم)). «هم أناس فكروا فلماذا لا نفكر نحن، وجربوا فلماذا لا نجرب، وعندنا مما تطوّرت به الأوضاع ما ليس عندهم؟! لماذا لا نوحي لأنفسنا أن نتملص من ذلك الماضي ونهرول نحو الإبداع؟ إن مسألة أن تبدع هي أن تكون إنسان الفكر الذي يتأمل والذي يحاور والذي يتابع التجربة هنا وهناك.» ((ويعرف نفسه قبل كل شيء كي يستطيع تقديمها لغيره وهو متثبت من هويتها الراسخة)).

(٢) الأسرة لبنة الحوار الأولى:

(أ) فقد الحوار بين الزوجين:

(٣)» تكاد لا تخلو أسرة في مجتمعنا من أزمة الحوار الزوجي، فالحوار بين الزوجين يعتبر فنّاً، وهو من أهم عناصر الاتفاق والتقارب والتفاعل بين الاثنين لتبادل الأفكار والآراء من أجل بناء أسرة سعيدة.

لكن في كثير من الأحيان يصبح لدى كلٍّ من الزوجين نوع من (الجفاف الحِواري) أو ما يسمى في العلم الحديث (الخرس الزوجي)، نظرًا لكثرة الانشغال



والاستسلام للروتين الخالي من أية روح أو عاطفة. فعندما يبدأ أحدهما بفتح حوار فإنه يفتحه بصوت باسق يدل على الضيق والضجر، فيحصل رد فعل عند الطرف الثاني، ليتحول هذا الحوار إلى نوع من الشقاق والخصام، مما يؤدي إلى فقد التحاور الحضاري بينهما، والاعتياد على أسلوب فرض الرأي، وبالتالي انعدام القدرة على إثبات وجهات النظر، وعدم وجود حلول للمشكلات الداخلية بين الزوجين...!

إنه لمن الحكمة أن يتم تجاوز الحواجز والسقطات التي تواجه الحياة الزوجية، والتفكير بحل سليم يرضي الطرفين، فالتفاوت الدائم في الرأي يؤدي غالباً إلى اختلاف القلوب، فلا بد إذاً من التشاور وتبادل الرأي. ((**وعدم تسريب هذه المشاعر السلبية نحو الأبناء فهم عماد المستقبل، ومن نراهن عليهم في الغد الداني، أن يكونوا خير رسل لنا في مجابهة التحديات المعاصرة**)).

(ب) الخلل في حوار الآباء مع الأبناء:

الغفير منا قد ينجح في توفير سبل العيشة الكريمة لأولاده ولكنه عندما يأتي لموضوع الحـوار فإنه يفشل فشلاً ذريعـاً.

وكما ذكرت سابقاً أن الحوار عادة مكتسبة يلعب الأهل دوراً رئيسًا في ترسيخها وبلورتها عندما يفتحون مجالاً للحوار والنقاش بجميع الموضوعات، كبيرة كانت أم صغيرة.

تبدأ مراحل الحوار منذ السؤال الأول للطفل، فيأتي هنا دور الأم والأب في تقديم أجوبة صريحة وبسيطة دون كذب أو توارٍ، فيمكن الإجابة عن أكثر الأسئلة حرجاً بطريقة تتناسب مع عمر الطفل وحجم استيعابه.

وفي مرحلة المراهقة، هذه المرحلة التي يسعى الشاب من خلالها ـ دائماً ـ



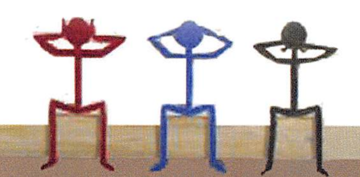
للتمرد على المحيط وانتقاد العادات وتحطيم القيود، لإثبات وجوده والتعبير عن نفسه. والتي تحتاج حواراً بأساليب وطرق تختلف باختلاف المراهق الذي نتعامل معه ونحاوره ومكانته، وهذا الشيء الذي يجب أن يعيه المراهق والمحيطون به.

وتكون البداية من الأسرة، وخاصة الوالدين اللذين لابد أن يكونا صديقين من نوع خاص بالنسبة للمراهق، لبعث الطمأنينة في قلبه، وأنه مهما قال ومهما فعل، فلن يجعلهما يتضرعان إلى الله بالدعاء عليه.

فإن أغلب الآباء يسعون دائماً لقمع المراهق والسيطرة على رأيه وتقييد تصرفاته خوفاً منهم على ولدهم من الانحراف.

عمليّاً (٤)» حين نستطيع أن نتحاور مع أبنائنا، وحتى نستطيع أيضاً أن نوصل أبناءنا إلى مستوى من الوعي والفهم والإدراك كي يتحاوروا معنا حواراً مفتوحاً آمناً بكل صراحة وبكل أريحية، وبالتالي يتباحثوا مع الآخر دون أن يعتري هذا القول خوفٌ من مخالفته في الرأي؛ ((نكون بذلك قد تقدمنا خطوة هامة في بناء شخصية الفرد، بالقدر الذي ييسر عليه البلوغ في التفكير، من ثم التواصل الذي لا يتحقق إلا بلغة، ليست لغتنا ولا هي لغته، إنما لغة مشتركة بيننا وهدفها الأساسي، الذي هو التواصل مع بعضنا)). «وبالتالي تطوير مهارة التواصل مع الآخر، وعندما نتكلم عن اللغة المشتركة في الحوار فإننا يجب أن نفهم بأن هناك ألفاظًا قد تحمل أكثر من معنى أو تفسر بمعانٍ أخرى غير التي تقصدها أنت في حوارك مع أبنائك كما الآخر، ومن هنا يبدأ الخلاف مع الأبناء خاصة المراهقين منهم.

إن الحوار الهادئ هو صمام أمان لكل أسرة، ((وعندما يغيب هذا الحوار في الأسرة فإنه ينتقل من البيت إلى الخارج)).



«إن أسلوب فرض الرأي وعدم السماح باختلاف وجهات النظـر، يخرج لنا أبناء يهزون برؤوسهم ويمتثلون دون أي مناقشة، فكأننا نربيهم تربية نجعلهم بها مع الفئات الهشة في المجتمع، وهى التي تستجيب لكل داع، فهو لم يتعود على أن يسأل لماذا؟ وليس من حقه أن يطرح هذا السؤال من الأساس حتى ولو طلب منه شيء مباشر، وبالتالي لم يعتد على حرية الفكر وإبداء الرأي وصنع شخصيته المستقلة». ((ففي حال كنا فشلنا في تبادل الحوار مع الأقرب فكيف لنا أن نحاول إيصال وجهات نظرنا إلى دول سبقتنا بمراحل، ثم كيف نتوقع لأبنائنا أن يتقنوا ما لم يتعلموه أصلاً؟!..

إننا نرغب في بناء صرح قوي و سليم منيع ضد الأفكار الدخيلة، وقادر على الجدل والحوار مع التمسك بقيمه ومبادئه واعتزازه بدينه، ذي رأي مستقل بعيداً عن التقليد السلبي، فـالحِوار هو النافذة التي نطل من خلالها

على الواقع الحقيقي لأبنائنا، ونخطئ خطأً كبيراً عندما نغلق نحن تلك النافذة، ونلغي بذلك الثقة المتبادلة بين الطرفين)). وقد نوجز بعض المهارات التي تُعيننا كآباء لحوار مثمر، نتعرف من خلاله على أبنائنا ونبني جسور المحبة والثقة والقدرة على مواجهة تحديات العصر والعولمة الحديثة فيما يلي:

- حدد هدفك وغايتك من الحـوار، هل هو لتوصيل مفهوم أم لتصحيح فكـــرة...إلخ.

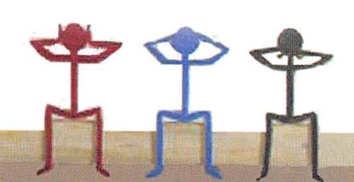
> إن الحوار الهادئ هو صمام أمان لكل أسرة، وعندما يغيب هذا الحوار في الأسرة فإنه ينتقل من البيت إلى الخارج.



- معرفة المرحلة العمرية وخصائصها التي يمر بها الابن، لأن لكل مرحلة عمرية لغة تناسبها، فمهما كان الكلام جميلًا، إن لم يتناسب مع السن فلن يترك أثرًا.
- اختيار الوقت والمكان والظرف المناسب للحوار.
- يمكن أن تبدأ حديثك بقصة أو معلومة غريبة أو مثل أو حكمة. كن مسلياً في حوارك مع ابنك، فالتسلية في بداية الحوار كمن يجهز العسل لضيوفه ليقبلوا على ضيافته بكل رحابة صدر.
- التفرغ عند الحوار مع الأبناء وعدم الانشغال أو إشعارهم بأنك تمن عليهم بوقتك..
- أحسن الاستماع ولا تقاطع. أشعر الابن بأن كلامه مهم عندك، لتكون النتيجة أن تصبح أنت مهمّاً عنده، فيسمح لك بدخول عقله ومشاعره.

ولنعلم بأن حسن الاستماع للأبناء يساهم في بناء شخصية المحاور النموذجي فيه من حيث:

- إخراج ما لدى الابن من معلومات مخطئة أو مواقف تعرض لها وتحتاج إلى توجيه، كما أنهُ تدريب له على حسن استماعه لنا وللآخرين.
- إلغاء الخجل والتلعثم وسرعة الكلام والخوف، وهذه السلبيات كلها نتاج عدم استماعنا الجيد لأبنائنا.
- تعليم الابن على الصبر والذي هو مفتاح النجاح للمحاور الجيد.



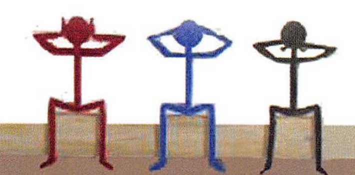
- تعليمه على قيادة الذات وعدم تضخيم الأنا واحترام الآخرين وآرائهم مهما كانت مخالفة.
- تعليمه على التواضع والتبسط مع الناس، فعندما لا يستمع الشخص ويبدأ في المقاطعة فكأنه يقول لمحدثه (أنا أفضل منك بأفكاري).
- تعزيز الثقة في الأبناء وتأكيد الذات وتنمية الاستقلالية والتشجيع على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم، وإظهار ما يعانيه الأبناء من قلق أو صراعات نفسية أو إحباطات، فتكون فرصة لعلاج وتقويم هذه السلوكيات.

(٣) ضعف التواصل بين المواطن والدولة:

((تصاغ العلاقة بين المواطن والمسؤول كحجر أساس في بناء الدولة وواجهتها المشرفة أمام المجتمع الدولي)). مهما كان شكل منهجها السياسي، فمن يخول بإدارة أعمال الدولة وعبر مؤسساتها التنفيذية عليه أن يعي دوره في تمتين العلاقة بينه وبين المواطن؛ ذلك الفرد المستهدف الحقيقي لتقديم الخدمات الحقيقية. إن «الهدف من الحوار هو التفاهم، أن يفهم كل طرف الطرف الآخر. فالحوار على هذا ليس ذلك النوع من الجدل الذي يهدف إلى إقناع الخصم أو إفحامه، وليس هو المفاوضة التي هدفها الوصول إلى وفاق أو حلول وسطى لكنها تقبع داخل فجوة! وليس الحوار هو المناقشة والمباحثة (الدردشة) من دون هدف! ولا هو

> الحوار ليس هو الجدل الذي يهدف إلى إقناع الخصم أو إفحامه، وليس هو المفاوضة التي هدفها الوصول إلى وفاق وحلول وسطى لكنها داخل فجوة

وسيلة للحصول على نتيجة مستهدفة سلفاً، ولا هو مجرد أداة للتعبير عن وجهات نظر...إلخ، وإنما الحوار وسيلة للتواصل بين فكرين، أي بين كائن بشري وآخر مثله. والحوار بهذا المعنى هو تبادل الرأي بين إنسان و آخر، لا يجمعهما إلا كونهما يرميان إلى تحقيق التواصل فيما بينهما على المستوى الفكري. ومن نافلة الكلام هنا أن الحوار بهذا المعنى لا يكون إلا حول المسائل المختلف عليها بين أطراف الحوار، إذ لو كان هناك إجماع عليها لما كانت هناك حاجة للحوار حولها من الأساس ((**وعندما تغيب ثقافة الحوار بين المواطن والدولة، تسود سياسة التسلط والعنف وربما القمع. وهذا من شأنه أن يولد عند الفرد العادي إحساساً بانعدام الثقة**))، وعدم التوازن، والشلل الذهني، فيفقد القدرة على التفكير والتحليل والتحاور، ((وسيتبنى بدوره هذا المنهج مع من حوله وينقله معه أينما ذهب)) . وإذا ما تسربت ثقافة القمع والتسلط إلى لغة الشباب بعضهم مع بعض، فستنتقل بدورها إلى طريقة تفكيرهم وحديثهم ومفرداتهم، ((فتغرس الدولة بذرة الخوف والطاعة الإجبارية في نفوس أبنائها وتحرم عليهم الموقف النقدي الحواري فيما يتعلق بشؤون الدولة، وتعرضهم إلى قائمة لا تنتهي من الأوامر والنواهي باسم الأمن الداخلي دون أي نقاش، ليؤثر ذلك على علاقاتهم بعضهم مع بعض، ثم تنبت تلك البذرة وتطرح ثمار العنف الاجتماعي، وبالتالي العنف مع الآخر وعدم تقبل وجهات النظر المختلفة، وتتمدد ثقافة التسلط إلى الأجيال والعلاقة بينها وبين العالم الخارجي. فنجد بذلك أن شخصية المواطن العربي هشة وسهلة التحلل عند المجتمعات الأخرى ويمكن الانسلاخ منها بسهولة لأنها ما بنيت برغبة منه أو بقناعة ذاتية إنما بفرض الرأي. وفي حال كانت الدولة تقمع المواطن، والمواطنون يقمعون بعضهم بعضاً مما يؤدي إلى تكدس القهر في نفوسهم وميلهم للانفجار في أي لحظة؛ فهذا يسهم بالتالي في تردي نظرة الغرب لنا بكوننا شعباً متسلطاً ، وفي عدم ثقتهم بمدى مصداقيتنا في الحوار معهم)).



(٤) كيف نحوك الحوار معهم بخيوط قطعت بيننا سابقاً؟!..:

(٥) «إن الجيل الذي تفتحت مداركه السياسية في الستينيات من القرن الماضي لم يكن معنيّاً على الإطلاق بالفروق المذهبية أو الاختلافات الطائفية ، والقبلية أو العنصرية بل كان التقسيم حينذاك محصوراً ما بين رجعي وتقدمي، بين إقطاعي واشتراكي، بين من تحزمهم خيوط قوية بالولايات المتحدة الأميركية ومن يتعاونون عن قرب مع الاتحاد السوفييتي السابق عقائديّاً وسياسيّاً».

أما المأساة الحقيقية التي يعاني منها العرب والمسلمون في هذا العصر فتفوق كل ما سبقها من المعضلات، «وكأنما لا تكفينا المواجهة الحادة مع الغرب ولا الصراع العربي الإسرائيلي ولا الصدام اليومي بين الفلسطينيين والدولة العبرية، ولا تلك المشكلة المعقدة في دارفور، ولعل أسوأ ما في الصراع الداخلي أنه يأتي في وقت نتطلع فيه إلى الدولة العصرية الحديثة التي لا توظف الخلافات لخدمة أهداف سياسية أو تبرير مواقف عقائدية»، ((لذلك يكون من المفيد أن ننقب الآن داخل بئر عميق تختفي في عمقه هذه الظاهرة الكئيبة التي بدأت تقتحم حياتنا العربية، بل وتتدخل بشكل ملموس في مواقفنا، وتشوه هيئتنا لدى الآخر)):

«أولاً: إن جذور أغلب الخلافات تعود إلى وقائع تاريخية أكثر منها ملابسات دينية أو واقعية وهذا يعني أننا سنظل أسرى للماضي ندفع فاتورة متجددة له عبر الأحقاب المتتالية، إذ إن تقسيم المسلمين بين سنة وشيعة _مثلاً_ إنما يعود إلى القرن الأول الهجري وما جرى فيه من أحداث اعتمدت على اجتهادات بشرية

> المفيد أن نبحث الآن في محور هام تدور حوله هذه الظاهرة الكئيبة التي بدأت تقتحم حياتنا العربية بل وتتدخل بشكل ملموس في مواقفنا وتشوه صورتنا لدى الآخر.

ولم تكن أبداً استجابة لتعاليم إلهية أو حتى نداءات روحية. ولا بد أن أعترف هنا أن حجم هذا الخلاف لم يكن متسعاً على النحو الذي نشهده اليوم عندما بدأ منذ أربعة عشر قرناً حين سادت سماحة الإسلام بعد الفتوحات الأولى، ولكن التراكم التاريخي للأفكار والمعتقدات هو الذي أدى إلى اتساع الهوة وتبادل المخاوف واستمرار الشكوك.

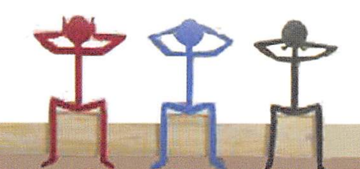
((وللأسف إن الخلافات المذهبية ليست وحدها ما يفتت أرغفة الدول العربية، بل إن كل عربي يجد ألف طريقة لتقسيم لحمته العربية والإسلامية. «فمثلاً في الخليج بالإضافة إلى الصراعات المذهبية التي نشعر وكأنها أفعى تطل برأسها كل حين وتنتظر فرصة مناسبة كي تنقض علينا وتغرس أنيابها فيستشري سمها داخل أرواحنا، هناك أيضاً الصراعات القبلية والعنصرية والحزبية وكما يحدث في فلسطين بالإضافة إلى الخلافات العربية العربية كما سبق وحدث مع لبنان وسوريا.

وقد يقول قائل وما شأن مشكلاتنا الداخلية بحوارنا مع الغرب؟!

فأقول: **إن صوت الفرد الواحد لا يمكن أن يكون أبداً كصوت الجماعة.**

فعلى سبيل المثال كيف يمكن أن يراهن الغرب على جدوى رغبتنا في الحوار معه في حال كنا غير قادرين على التحاور مع من يشاطرنا البيئة والعادات والتقاليد والقضايا ذاتها. وأكبر دليل على ما أسلفت أن المجتمع الدولي وحتى العربي، ربما قد فقد قسماً كبيرًا من اكتراثه بالقضية الفلسطينية بعد أن أصبحت الصراعات الحزبية تلوح براياتها فوق رؤوس أبنائها..!

كذلك الحال في العراق، العاجز حتى الآن عن إقناع المجتمع الدولي، بأنه لم يعد في حاجة لأولئك الجنود المكدسين فوق أراضيه منذ أكثر من ٦ أعوام. والسبب



أنه غير قادر على حكم ذاته بسبب الخصومات المذهبية والدينية والقومية، والتي يزيدها الوجود الأجنبي تأججًا بعد أن تحقق أن هذا هو رأس الفتيل المناسب لإحراقنا من الداخل».

وأنا أعترف في نقد ذاتي لنا، أن رجال الدين ورجال الأدب والإعلام والثقافة والسياسة، لم يقوموا بدورهم المطلوب في توحيد روح الفريق، على الرغم من تسليمنا بالجهود التي بذلتها بعض المراكز الإسلامية السنية أو الشيعية وبعض المؤتمرات الخاصة بالوحدة الوطنية في هذا الشأن، بل يجب أن تتحول هذه الاجتهادات الفردية والجهود المرحلية إلى زخم شامل يصنع مظلة كاملة تغطي المساحة الروحية للعالمين الإسلامي والعربي بغير استثناء)).

لماذا نخاف من الفتنة؟!

« لأن المشكلة هي أن كل إنسان يمكث داخل ذاته أو داخل طائفته أو داخل عصبيته وما إلى ذلك.، لهذا نحن ندعو إلى أن نتعلم الحوار في البيت. وأنا أزعم أننا نتعلم الديكتاتورية في البيت، وهذا ما يجعل هذه الذهنية تعيش داخلنا. وهكذا تبدأ المسألة من الأب والأم ثم تأتي بعد ذلك للمدرسة والجامعة ولرئيس العمل ثم تأتي للوزير وهكذا، حتى باتت هذه الذهنية أو الثقافة سائدة.

أيها الأحبة: نحن نصنع الطاغية سواء الصغير أو الكبير: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} [الرعد:١١]. غيِّر نفسك تغير الواقع، غير نفسك تغير التاريخ. لذلك نحن ندعو إلى الحوار في واقعنا العربي والإسلامي، ((حتى نستطيع أن نتواصل بعضنا مع بعض قبل التواصل مع الآخر)).

> غير نفسك تغير التاريخ. لذلك نحن ندعو إلى الحوار في واقعنا العربي والإسلامي، حتى نستطيع أن نتفاهم مع بعضنا بعضاً قبل الآخر..



١- أساسيات الحوار والتي يجب الاطلاع عليها قبل خوض أي حوار سواء كان خاصًّا أو عامًّا وهي:

قواعد الحوار:

يرتكز (٦) الحوار على عدة قواعد تمثل المنطلقات المتبادلة والتي تجمع بين المتحاورين، وحتى يكون الحوار منتجاً، لا بد أن يتصف المحاور بخصائص تدعم هذه القواعد مثل:

١- الاعتماد على أسس مشتركة للحوار كالاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة عند المسلمين أو العناصر المشتركة بين الديانات كالأخلاق والرحمة والمحبة، أو إلى قواعد المنطق والقياس عند غيرهم.

٢- التسليم ببدهيات المعرفة، وبدهيات السلوك، فكيف نتحاور مع من لا يرى في الصدق فضيلة، وفي الكذب رذيلة مثلاً؟!

٣- اللباقة، واحترام الحوار.

٤- الرغبة في الوصول إلى الصواب والحق؛ لأن التفكير في الوصول إلى الغلبة يلقي بصاحبه في لجاجة الجدل العقيم.

كما أن للحوار أصولاً عديدة لا بد أن تُراعى حتى يثمر الحوار نتائج مرغوبة للمتحاورين.

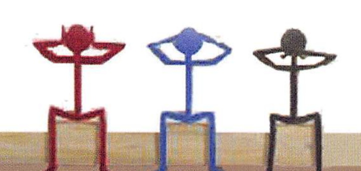
وهذه الأصول هي:

الأصل الأول:

سلوك الطرق العلمية والتزامها، وذلك عن طريق:

١- تقديم الأدلة المُثبِتة أو المرجِّحة للدعوى.

٢- صحة تقديم النقل في الأمور المنقولة.



يجب التنبه للقاعدة الحوارية المشهورة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدَّعياً فالدليل). كي نسلك طريقًا علمية للحوار.

وفي هذين الطريقين جاءت القاعدة الحوارية المشهورة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدَّعياً فالدليل).

وفي التنزيل جاء قوله سبحانه: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} وفي أكثر من موضع (البقرة:١١١)، و(النمل:٦٤). {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي}(الأنبياء:٢٤)، {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (آل عمران:٩٣).

الأصل الثاني:

سلامة كلامِ المناظر ودليله من التناقض؛ فالمتناقض ساقط بداهة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره بعض أهل التفسير من:

١- وصف فرعون لموسى عليه السلام بقوله: {سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} (الذاريات:٣٩). وهو وصف قاله الكفار _لكثير من الأنبياء بمن فيهم كفار الجاهلية_ لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهذان الوصفان؛ السحر والجنون، لا يجتمعان، لأن الشأن في الساحر العقل والفطنة والذكاء، أما المجنون فلا عقل معه البتة، وهذا منهم تناقض بيّن.

٢- نعت كفار قريش لآيات محمد _صلى الله عليه وسلم_ بأنها سحر مستمر، كما في قوله تعالى: {وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} (القمر:٢). وهو تناقض؛ فالسحر لا يكون مستمرّاً، والمستمر لا يكون سحرًا.

الأصل الثالث:

ألا يكون الدليل هو عين الدعوى، لأنه إذا كان كذلك لم يكن دليلاً، ولكنه إعادة للدعوى بألفاظ وصيغ أخرى. وعند بعض المُحاورين من البراعة في تزويق الألفاظ وزخرفتها، ما يوهم بأنه يُورد دليلاً. وواقع الحال أنه إعادة للدعوى بلفظ مُغاير، وهذا تحايل في القول لإطالة النقاش من غير فائدة.

الأصل الرابع:

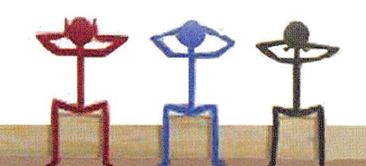
الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة. وهذه المُسَلَّمات والثوابت قد يكون مرجعها أنها عقلية بحتة لا تقبل النقاش عند العقلاء المتجردين؛ كحُسْنِ الصدق، وقُبحِ الكذب، وشُكر المُحسن، ومعاقبة المُذنب. أو تكون مُسَلَّمات دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك.. وبالوقوف عند الثوابت والمُسَلَّمات والانطلاق منها، يتحدد مُريد الحق ممن لا يريد إلا المراء والجدل. ففي الإسلام؛ الإيمان بربوبية الله وألوهيَّته، واتِّصافه بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم كلام الله، والحكم بما أنزل الله، وحجاب المرأة، وتعدد الزوجات، وحرمة الربا والخمر والزنى؛ كل هذه قضايا مقطوع بها لدى المسلمين، وإثباتها شرعاً أمر مفروغ منه.

إذا كان الأمر كذلك، فلا يجوز أن تكون هذه محل حوار أو نقاش مع مؤمن بالإسلام، لأنها أمور محسومة.

فقضية الحكم بما أنزل الله منصوص عليها بمثل: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} (النساء:٦٥).

{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(المائدة:٤٥).

> (إذا كان من الحق ألا يمنع صاحب الحق عن حقه، فمن الحق ألا يعطى هذا الحق لمن لا يستحقه.



الأصل الخامس:

التجرُّد، وقصد الحق، والبعد عن التعصب، والالتزام بآداب الحوار:

إن اتباع الحق، والسعي للوصول إليه، والحرص على الالتزام؛ هو الذي يسوق نحو حوار مستقيم لا عوج فيه ولا التواء، ولا هوى جمهور، أو أتْباع. والعاقل _فضلاً عن المسلم_ الصادق؛ طالبُ حقٍّ، وباحثٌ عن الحقيقة، ينشد الصواب ويتجنب الخطأ.

يقول «٤» الغزاليّ أبو حامد: (التعاون على طلب الحق من الدّين، ولكن له شروط وعلامات؛ منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالّة، لا يفرق بين أن تظهر الضالّة على يده أو على يد معاونه. ويرى رفيقه معيناً لا خصماً. ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهره له).

ومن مقولات«٥» الإمام الشافعي المحفوظة: (ما كلمت أحداً قطّ إلا أحببت أن يُوفّق ويُسدّد ويُعان، وتكون عليه رعاية الله وحفظه. وما ناظرني فبالَيْتُ! أَظَهَرَتِ الحجّةُ على لسانه أو لساني).

وفي ذمّ التعصب ولو كان للحق، يقول الغزالي: (إن التعصّب من آفات علماء السوء، فإنهم يُبالغون في التعصّب للحق، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نُصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نُسبوا إليه. ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة، لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لمّا كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتْباع مثلُ التعصّب واللعن والتّهم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم). والمقصود من كل هذا أن يكون الحوار بريئاً من التعصّب خالصاً لطلب الحق، خالياً من

العنف والانفعال، بعيداً عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانيّة، مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس، ويُولد النَّفرة، ويُوغر الصدور، وينتهي إلى القطيعة.

وهذا الموضوع سوف يزداد بسطاً حين الحديث عن آداب الحوار إن شاء الله.

الأصل السادس:

أهلية المحاور وهي الأهم:

إذا كان من الحق ألا يُمنع صاحب الحق عن حقه، فمن الحق ألا يُعطى هذا الحق لمن لا يستحقه، كما أن من الحكمة والعقل والأدب في الرجل ألا يعترض على ما ليس له أهلاً، ولا يدخل فيما ليس هو فيه كفؤاً.

من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من كان على الباطل.

من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق.

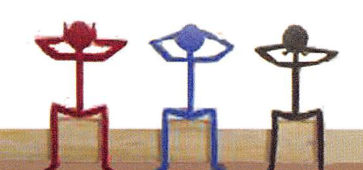
من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يجيد الدفاع عن الحق.

من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يدرك مسالك الباطل.

إذاً، فليس كل شخص مؤهلاً للدخول في حوار صحي صحيح يؤتي ثماراً يانعة ونتائج طيبة.

والذي يجمع لك كل ذلك: (العلم)؛ فلا بد من التأهيل العلمي للمُحاور، ويقصد بذلك التأهيل العلمي المختص.

إن الجاهل بالشيء ليس كفؤاً للعالم به، ومن لا يعلم لا يجوز أن يجادل من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم _عليه السلام_ في محاجَّته لأبيه حين قال :{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً}(مريم:٤٣).



وإن من البلاء؛ أن يقوم غير مختص ليعترض على مختص؛ فيُخَطِّئه ويُغَلِّطه حتى يتوثق ويلم بما يجادل فيه.

وإن حق من لا يعلم أن يسأل ويستفهم، لا أن يعترض ويجادل بغير علم، وقد قال موسى _عليه السلام_ للعبد الصالح : { هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً}(الكهف:٦٦).

فالمستحسن من غير المختص؛ أن يسأل ويستفسر، ويفكر ويتعلم ويتتلمذ ويقف موقف موسى عليه السلام مع العبد الصالح.

وكثير من الحوارات غير المنتجة مردُّها إلى عدم التكافؤ بين المتحاورين، ولقد قال الشافعي رحمه الله: (ما جادلت عالماً إلا وغلبته، وما جادلني جاهل إلا غلبني!). وهذا التهكم من الشافعي رحمه الله يشير إلى الجدال العقيم؛ الذي يجري بين غير المتكافئين.

الأصل السابع: قطعية النتائج ونسبيَّتها:

من المهم في هذا الأصل إدراك أن الرأي الفكري نسبيُّ الدلالة على الصواب أو الخطأ، والذين لا يجوز عليهم الخطأ هم الأنبياء عليهم السلام فيما يبلغون عن ربهم سبحانه وتعالى. ومن عدا ذلك فيندرج أسفل المقولة المشهورة: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي الآخر خطأ يحتمل الصواب).

وبناء عليه؛ فليس من شروط الحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر. فإن تحقق هذا واتفقا على رأي واحد فنعم المقصود، وهو منتهى الغاية. وإن لم يكن فالحوار ناجح إذا توصل المتحاوران بقناعة إلى قبول كلٍّ من منهجيهما؛ يسوغ لكل واحد منهما التمسك به ما دام أنه في دائرة الخلاف السائغ. وما تقدم من حديث عن غاية الحوار يزيد هذا الأصل إيضاحاً.

وفي تقرير ذلك يقول «٦» ابن تيمية رحمه الله:

(وكان بعضهم يعذر كل من خالفه في المسائل الاجتهادية، ولا يكلفه أن يوافقه فهمه) اهـ. من المغني.

ولكن يكون الحوار فاشلاً إذا انتهى إلى نزاع وقطيعة، وتدابر ومكايدة وتجهيل وتخطئة.

الأصل الثامن:

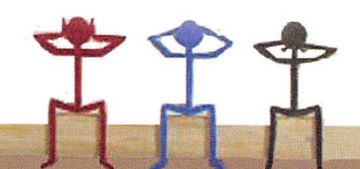
الرضا والقبول بالنتائج التي يتوصل إليها المتحاورون، والالتزام الجادّ بها، وبما يترتب عليها. وإذا لم يتحقق هذا الأصل كانت المناظرة ضرباً من العبث الذي يتنزه عنه العقلاء.

قال الشافعي رحمه الله: (ما ناظرت أحداً فقبل مني الحجَّة إلا عظم في عيني، ولا ردَّها إلا سقط في عيني).

(٢)- الحوار فلسفة عميقة:

(أ) لا حدود للحوار:

إن المشكلة في كثير مما نعيشه هي ((أننا نتحدث مع الآخر من خلال ما نحن لا من خلال ما هو. ولذلك يتحول الحوار إلى ما يشبه حوار (الصُّم)، فهو يتحدث دون أن تفهم شيئاً وتتحدث أنت دون أن يعي هو شيئاً، ولعل من أعظم شروط الحوار هو أن تعترف بالآخر، هذا الشيء الذي نفقده في الشرق، وهي مسألة غير إنسانية وغير واقعية. إنك عندما تلغي الآخر من حساباتك فإن ذلك لا يلغيه، فهو إنسان موجود فكراً وموجود عاطفةً وحركةً وموجود في عملية الواقع الذي قد يؤثر فيه سلباً أو إيجاباً، وكونك تتجاهل وجوده فإن ذلك يدل على ضعفك



وعلى عدم قدرتك على المجابهة)).

إن مسألة إلغاء الآخر هي (٧) «مسألة غير واقعية، ونحن نريد أن نعيش في الواقع، وأن تكون لنا شجاعة الاعتراف بالآخر، لأن ذلك هو الذي يجعلنا نكتشف إيجابيات الآخر وسلبياته لنعاونه على أن يكتشف إيجابياتنا وسلبياتنا، وأعتقد أن هذا الأسلوب يمكن له أن يحقق الكثير من التقارب الفكري ومن الاحترام الإنساني، ومن خلال كلِّ هذه اللقطات ندخل في الموضوع الذي أريد لهذا البحث أن يطل عليه، وهو مسألة الحوار مع الغرب، ولعل الذي أوحى بهذا العنوان من البداية هو أن هناك فكرة يحملها الكثير من الناس في كل هذه الهزات السياسية والأمنية التي عاشها (الإنسان بشكل عام) مع (الإنسان الغربي على وجه الخصوص) منذ بدايات القرن السابق، الأمر الذي جعل مسألة الغرب عقدة في نفوسنا بالمستوى الذي قد يدعو فيه بعضنا بعضاً إلى أن نبتعد عنه فلا نحاوره ولا نحدثه ولا نقترب منه، ولتكون السلبية هي ما نواجهه به في كل القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية».

«ربما كانت هذه المسألة تمثل الظاهرة في هذا العالم الشرقي، وربما تمتد إلى العالم الثالث غير الشرقي، ويحدثك بعض القوم عن عدم الجدوى في هذه التجربة، ليستحضر الكلمة المشهورة (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا، ولذلك فإن عدم اللقاء يمثل حتمية واقعية في هذا المجال)».

> نريد أن نعيش في الواقع، وأن تكون لنا شجاعة الاعتراف بالآخر، لأن ذلك هو الذي يجعلنا نكتشف إيجابيات الآخر وسلبياته لنعاونه أو نساعده على أن يكتشف إيجابياتنا وسلبياتنا



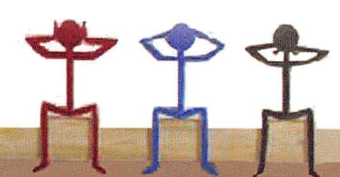
احتل الجدل مكانة عالية عند الرواقيين . فهو عندهم النمط الصوري. وقد طوره سينيكا ليشمل أشكالاً من الاستدلال تُدرج اليوم مع حساب القضايا.

(ب) الحوار فلسفة تاريخية:

الجدل dialectic(٨) «مصطلح يوناني يعني أصلاً فن الحوار أو النقاش. وهو علم القوانين الأكثر عمومية التي تحكم الطبيعة والمجتمع والفكر.

نشأ الجدل في اليونان مع الفيلسوف «٧»زينون الإيلي في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد كانت نماذج من الجدل الجاد التي استثارت فلاسفة عصره للرد عليها. ولكن هذا الجدل الذي كان فنّاً للتحاور بغية بلوغ الحقيقة، بطرح الفكرة والفكرة المضادة لها عن طريق السؤال والجواب؛ تحول إلى منهج مهني تعليمي نقدي، ووسيلة لعب بالألفاظ لإخفاء الحقيقة، ثم جاء تهكم سقراط صورة متقدمة لجدل زينون. فأصبح أسلوب تفكير ومنهج توليد للحقيقة، وذلك بتوجيه الأسئلة للخصم وتوليد الإجابات عليها، محاولاً أن يوقع خصمه في التناقض بطريقته التهكمية التي تقوم على طرح معنى ينفي المعنى الأول.

وصار (٩) الجدل مع «٨» أفلاطون علم تصنيف المفاهيم وتقسيم الأشياء إلى أجناس وأنواع، إضافةً إلى أنه فن إلقاء الأسئلة والأجوبة، أي إنه تحول إلى منهج وعلم، فهو المنهج الذي يرتفع بالعقل من المحسوس إلى المعقول، وهو العلم بالمبادئ الأولى التي يبلغها الفيلسوف بدراسة العلوم الجزئية، لذلك قسمه أفلاطون إلى جدل صاعد ascending ينقل الفكر من الجزئي إلى الكلي، من المدركات الحسية إلى المعاني الكلية إلى التعقل الخالص إلى «المثل»، وجدل نازل descending ينزل بالعقل من أرفع المثل إلى أدناها بتحليلها وترتيبها في أجناس وأنواع. واستخلص «٩» أرسطو قياسه syllogism من قسمة أفلاطون وقام ببناء



منطقه الصوري على فهمه للجدل كاستدلال، فأطلق على الجدل الأرسطي اسم منطق الاحتمال logic of probability، لأن موضوعه الاستدلالات التي تكون مقدماتها محتملة. فقد فرق بين الجدل أي علم الآراء الاحتمالية وعلم التحليلات أي علم البرهان. وتمتع الجدل عند أرسطو بقيمة هائلة، بوصفه وسيلة للتدريب على التفكير وطرائقه واختبار صدق المبادئ الأولى غير المبرهنة للعلوم.

واحتل الجدل مكانة عالية عند «١٠» الرواقيين. فهو عندهم النمط الصوري. وقد طوره «١١» سينيكا ليشمل أجناساً من الاستدلال تُدرج اليوم مع حساب القضايا. كما استخدم الجدل في الفلسفة المدرسية ليشير إلى المنطق الصوري مقابل فن البلاغة. وبرغم تفشي «١٢» الميتافيزيقة، فقد قدم ديكارت (في نظريته عن خلق الكون) نماذج من الفكر الجدلي الحقيقي، وقدم «١٣» روسو من الأفكار الجدلية، ما عالج التناقض في الوعي الاجتماعي باعتباره شرطاً للتطور التاريخي.

وأظهرت المثالية «١٤» الكلاسيكية الألمانية أهم مرحلة قبل «١٥» الماركسية في تطور الجدل، فقد أحدث «كَنت» في تبنيه موقف ديكارت عن إدخال التطور في معرفة الطبيعة، أول ثغرة في الميتافيزيقة، فطوّر الأفكار الجدلية الخاصة بالنقائض في مبحث المعرفة، وكرّس بحثه في المنطق لمناقشة الجدل «الترانسدنتالي» بغية كشف وَهْم الأحكام «١٦» الترانسندنتالية. وبهذا جعل «١٧» «كَنت» من الجدل طريقة مشروعة للبرهنة العقلية، وعملية ضرورية من عمليات العقل في محاولاته الفرار من دائرة الحس والظواهر والدخول في عالم الأشياء في ذاتها، لاقتناعه أن العالم يمكن أن يكون موضوعاً للمعرفة النظرية التأملية، فالجدل عند كَنت، هو منطق للظاهر وما يقتضيه من قواعد وقوانين تستخدم في تحديد الموضوعات التي لا تتفق مع المعايير الصورية للحقيقة.»

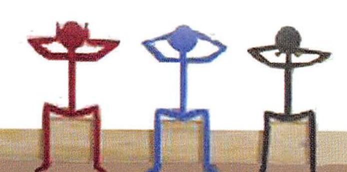
وبلغ الجدل مع «١٨» هيغل ذروته، وأصبح منهجاً فلسفيّاً شاملاً، (١٠)

«قدم معه العالم كله الطبيعي منه والتاريخي والعقلي أول مرة على أنه صيرورة، أي في حالة حركة وتغير وتحول وتطور دائم». آمن هيغل بأن الجدل ليس صفة عارضة للتفكير ولا خاصية أو نشاطاً ذاتياً له يمكن أن ينطبق على الموضوع من الخارج، بل له طابع موضوعي عام، فالمنهج لا ينفصل عن موضوعه، إنه المضمون وما يكمن في هذا المضمون من تناقض هو الذي يحركه، يجعل منه مبدأً عامّاً يدرس الأشياء في طبيعة وجودها ذاته وفي حركتها، والجدل عنده مبدأ كل حركة تكون علمية، أي فلسفية».

وبرز مع «١٩» ماركس و«٢٠» فريدريك إنجلز الجدل العلمي الحقيقي الذي يضم القوانين التي تحكم تطور الوجود وقوانين المعرفة، فلقد استأصلا المضمون المثالي لفلسفة «هيغل»، وأقاما الجدل على فهمهما المادي للعملية التاريخية، وتطور المعرفة، وعلى تعميمها للعمليات الواقعية التي تحدث في الطبيعة والمجتمع والفكر. وهكذا أصبح الجدل المادي منطقاً يعدّ الفكر والمعرفة مساويين للوجود، الذي هو في حالة حركة وتطور، ومساويين للأشياء والظواهر، وهي في حالة صيرورة في عملية التطور، وهو المنهج الفلسفي لبحث الطبيعة والمجتمع، وفيه يعد التناقض المقولة الرئيسة، لأنه يكشف عن القوة الدافعة ومصدر كل تطور، كما أنه يحتوي على مفتاح جميع المقولات الأخرى، ومبادئ التطور الجدلي: قانون نفي النفي، قانون الانتقال من التغيرات الكمية إلى التغيرات الكيفية، قانون صراع الأضداد والتناقض.

(ج) نوتة الحوار حين يعزفها ناي العولمة:

- علينا أن نفهم حقيقة، وهي أنه **لم يعد هناك شرق وغرب، بل أصبح العالم كما يقولون قرية واحدة يتأثر فيها الشرق بما يحدث في الغرب كما يتأثر الغرب بطريقة أو بأخرى مع بعض الفوارق بما يحدث**



في الشرق، أيضاً لم تعد هناك حواجز حتى في المسألة الثقافية، إننا نعرف أن الشرق تأثر بالغرب عندما انطلقت الترجمات من خلال الفلسفة اليونانية التي أثرت على الفلسفة الإسلامية، وهكذا في الترجمات المتنوعة في أكثر من موقع علمي أو ثقافي، كما أن الغرب تأثر أيضاً بالشرق، وهذا ما حصل في الفترة التي كان فيها المسلمون في الأندلس، حيث استطاع الغرب أن يتأثر بالكثير من الفكر الإسلامي المنفتح، ولعل البعض يتحدث أن الفكر الإسلامي لابن رشد وغيره هو الذي دفع بالغرب إلى اعتبار التجربة مصدراً للمعرفة، لأن المعرفة كانت تنطلق من خلال التأمل العقلي. ثم إننا نعرف الآن أن الشرق زحف إلى الغرب وبدأ يتعلم في جامعاته، كما أن الغرب زحف إلى الشرق، فكان الاستشراق يمثل مدرسة تنفتح على كل ما في الشرق من علوم وثقافات وأوضاع وسياسات. إذاً ليس هناك شرق وغرب بالمعنى الذي يفصل عالماً عن عالم، ربما يختلف الغرب في بعض خطوط فلسفته في قضايا حرية الإنسان وأمثال ذلك في سعة الحرية وضيقها على المستوى الفردي عما يؤمن به الشرق.

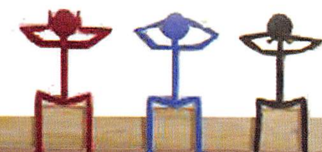
«نحن لا نأبى أن هناك فكراً مختلفاً، لكن على أساس أن كل هذا الفكر يختلف مع كل ذلك الفكر، نحن نعرف أن الغرب يختلف في ما يتحرك به من خطط ثقافية وفكرية، كما أن الشرق يختلف فيما يتحرك به من خطوط ثقافية وفكرية.»

> لم يعد هناك شرق وغرب، بل أصبح العالم كما يقولون قرية واحدة يتأثر فيها الشرق بما يحدث في الغرب كما يتأثر الغرب بطريقة أو بأخرى مع بعض الفوارق بما يحدث في الشرق.

ونحن نعرف أنّه كما في الغرب مستشرقون، هناك في الشرق مستغربون أو متغربون إذا صحَّ التعبير، لهذا ليس الغرب واحداً وليس الشرق واحداً، سواء في الأمور الدينية أو الإنسانية أو في قضايا حقوق الإنسان أو في مسألة الحريات وما إلى ذلك، وفي المسائل السياسية في الديمقراطية والدكتاتورية والاشتراكية وما إلى ذلك، ليس هناك غرب مطلق وليس هناك شرق مطلق.

ثم **إن المشكلة التي نعيشها في الشرق أو في العالم الثالث، هي أننا عندما نتحدث عن الغرب نتحدث عن الإدارات الغربية**، وعندما نتحدث عن أمريكا، فإن الهيئة التي تواجهنا وتحرك كل مواقفنا هي هيئة الإدارة الأمريكية في سياستها على مستوى الواقع العربي أو الإسلامي أو على مستوى العالم، وكأننا عندما نتحدث عن أمريكا في مظالمها وفي سياستها التي تدك الكثير من شؤوننا السياسية والاقتصادية فنحن نتحدث عن الرئيس الأمريكي وعن إدارته وعن المحافظين الجدد وما إلى ذلك، ولكن أمريكا ليست هؤلاء، نحن نعرف أن هناك مراكز علمية وثقافية ومراكز دراسية من أفضل المراكز في البحث والملاحقة لكل القضايا.

قد تكون بعض هذه المراكز لا تلتقي بالخطوط التي نؤمن بها لتلتقي مع الإدارة الأمريكية، ولكن هناك مراكز أخرى تلتقي بالخطوط التي نؤمن بها، لذلك لا بد لنا إذا أردنا أن نعيش في هذا المناخ العالمي الذي لا بد لنا أن نعيش معه، لأن مصالحنا ارتبطت بمصالحه، ولأن الكثير من ثقافاتنا وتخصصاتنا ارتبطت بثقافته وتخصصاته، ولأن الكثير من سياساتنا ارتبطت بسياسته، وهكذا بالنسبة إلى أمننا واقتصادنا، فلا بد أن نفهمه جيدًا (١*) «نحن لا نستطيع أن ننعزل ونقول الموت لأمريكا مثلاً، لأن أمريكا لا تموت بهذا الشعار، ولعلمكم أنني كنت ولا أزال من المعارضين لهذا الشعار، فأمريكا ليست الرئيس بوش وإدارته، أمريكا هي الشعب



> لا تحدثوهم فقط عن القضية الفلسطينية أو عن القضية العراقية أو عن القهر والحرب ، حدثوهم عن البيئة، عن الدين الصحيح ، عن الأمن، عن العلم عن كل الأشياء التي يهتم لها المواطن العادي.

والمواطن، وإن كنّا نختلف مع بعض ما يأخذ به الشعب الغربي ممثلاً بالأمريكي عندما ينتخب رئيساً بطريقة خاصة، وعندما ينتخب أعضاءً في الكونغرس مثلاً يصوّتون على كل ما تريده إسرائيل، لكن ليست أمريكا هي كل ذلك وليس الغرب كلهم أعداء لنا.

((لذا يجب أن تكون رسالتنا الموجهة إليهم: [نحن نريد أن نكون أصدقاء لكم فنحن لا نكرهكم بل نكره سياسة دولكم تجاهنا والتي ربما أنتم أيضاً لا تقبلون بعضها لذا عليكم الوقوف معنا كي نمنعهم من استغلالنا واستغلالكم]، وذلك لا يتحقق إلا عن طريق حوار هادف، مع المؤسسات الثقافية، و مع مراكز الدراسات، و المراكز الاقتصادية، مع المواطن الغربي العادي العامل مثلي ومثلك، أيضًا علينا أن نفكر في أن يسعى كلّ الذين يتقوتون في الخارج من الذين أخذوا جنسيتها وعاشوا فيها من العرب ومن المسلمين، إلى الدخول في النسيج الآخر، مع التمسك بهويتهم، ولكي يعرف الشعب الآخر أنكم تعيشون الاهتمامات التي يعيشها، لا تحدثوهم فقط عن القضية الفلسطينية أو عن القضية العراقية أو عن القهر والحرب ، حدثوهم عن البيئة، عن الدين الصحيح ، عن الأمن، عن العلم عن الجمال عن كل الأشياء التي يهتم لها المواطن العادي ، إن ذلك يمثل القاعدة التي تستطيعون من خلالها أن تحصلوا على ثقة الآخر)) ،»كي توضحوا لهم أنكم لستم مجرد مغتربين طارئين، بل أنتم جزء من هذا الشعب الذي لا يملك هوية واحدة، وإنما هو يمثل تجميعاً من كل شعوب العالم فيشعروا بالأمان والثقة بكم



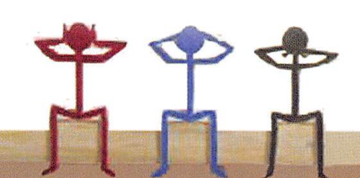
وبالتالي يتواصلون ويتفاعلون معكم بشكل أكبر ويكون تقبلهم للحوار أكثر تأثيراً».

(د) حاجتنا للحوار مع الغرب :

(٩) ليس»الفارق بين العرب والغرب النقطة التي فوق الحرف فقط فكما أن العرب والمسلمين لا يمكن وضعهم في سلة واحدة لأنهم طوائف وملل ونحل ورؤى ومذاهب وتيارات نشطة ونائمة ومتشددة ومعتدلة ، كذلك الغرب ليس كتلة واحدة ، إنه عالم له فلسفاته وتصوراته وتناقضاته ومن المعيب أن يأتي متحدث منا ليقول عن الغرب قولاً فصلاً واحداً.

يرى معظم الغربيين المعاصرين مشكلة رئيسة في الفكر الإسلامي إزاء التعامل مع الآخر ومشاركته الواقع العالمي، ويتهم معظمهم العالم الإسلامي بأنه يدعو للحوار كونه الطرف الأضعف، وحقيقة أن هذا التصور متوغل في فلسفة الكثير من الاتجاهات الإسلامية والقومية، فهي ترى الحوار تكتيكاً مرحليّاً، لا إستراتيجية دائمة، ولكن التصور الغربي لم يكن يوماً ما أفضل بالمقابل، فالنزعة الكولونيالية[١] تغلف كل الفضاء الفكري في الغرب، والتصورات الاستشراقية[٢] بقيت مدخل كل دارس عن كنه الشرق الإسلامي مما يصبغ بحثه واجتهاده بلوثة أيديولوجية سابقة، وحالة النفاق _ سواء في دائرة الثقافة الإسلامية أو الغربية_ تقيم أواصر وهمية لا تلبث أن تتهاوى عند أول لفحة سوء فهم . وفي الكثير من المواقف تجد الدلائل على جدية مفقودة في النظر إلى المسألة بعيداً عن تجاذبات إقصاء الآخر واستئصاله.[٣]

إن وطننا العربي يقع ضمن العالم الأخير، في خانة تضم أكثر الشعوب عجزاً عن ملاحقة مسيرة الحضارة .



وهو موقع لا مبرر للشكوى منه، سوى أن الحضارة بأسرها ولدت أصلاً في وطننا، وأن السفن والأسلحة التي ارتاد بها الأوروبيون قارات العالم الجديد، كانت في أيدينا، قبل أن يعرفها الأوروبيون بثلاثة قرون على الأقل.

فلماذا يحدث ما يحدث الآن ؟ وكيف يمشي وطن _وأناسه_ إلى الوراء و لماذا فشلنا في التعامل مع الغرب وما مصدر الشقاء الذي يحل بنا؟؟

ثمة إجابة....!!وهي إجابة محددة وصحيحة، جادة وسهلة، وخالية من أهواء الفلسفة، لكن مشكلتها أنها مكتوبة بلغة عربية أخرى، لم ينسها العرب فقط ، بل تعلموا بدلاً عنها لغة عربية جديدة، مما يجعل مهمة الترجمة صعبة بعض الشيء، وأحياناً _أيضاً_ صعبة ومفاجئة . إن هذا الحديث، هو الخطوة التي لا بد منها لارتياد إجابة غائبة عن الأسئلة المطروحة الآن في واقعنا . وهي إجابة طمرتها الإرادة السياسية في ثقافتنا العربية وراء إجابة مزورة عمداً في ثقافة عربية أخرى.[٤] الإجابة باختصار تم تغييب الإنسان . ومع أن الإنسان على حد تعبير»١٨« الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم هو(أغلى ما تملكه الأمم والشعوب، إنه أهم عناصر التقدم لأي أمة أو دولة).[٥]

و هي لفتة ذكية من سياسي عربي إلا أن تغييب الإنسان هو الواقع المعيش والحال المحسوس في بلادنا غالباً منذ مئات السنين . وبين ثلاثية التركيع والتطويع والتجويع عاش الإنسان العربي في الأعم الغالب ، فتمرد وجنح لثقافة النحر والانتحار.

لقد تم تغييب الإنسان لمصلحة وصايات مزعومة تتخذ أقنعة عدة وترتدي زيّاً مختلفاً سياسيّاً ودينيّاً لكنها تجتمع على وأد الإنسان مما خلق حالة انعدام في الحياة الطبيعية وبيان الرأي وتعددية المذاهب والأفكار.

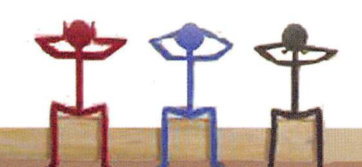
فخلّف هذا الأمر شيوع التكفير بدلاً عن التفكير مع المختلف عنا بيولوجيّاً وأيديولوجيّاً وبما أن التكفير يعد المقدمة النظرية لفعل القتل فقد استبطن المختلف حججه في تبرير موقفه من المغاير ورأيه في مخاصمة وتكفير الآخر وصولاً إلى اغتياله وتصفيته.

إن إشاعة ثقافة الحوار مع الغرب تعد خطوة رئيسة ومهمة ولكن كي تحقق أهدافها المرجوة يجب أن نعي أن الغرض منها ليس من أجل أن يتصدق الغرب علينا، ولا من أجل استعطاف أو استدرار مواقف إيجابية لمصلحة قضايا الشرق ولكن لكي:

- تستوي الحياة فيعيش الكون بروحانية الشرق وعقلانية الغرب في وفاق.
- كي نضع حدًّا لسوء الظن المتبادل والذي تدفع الأجيال ثمنه.
- كي يكسب الحوار مع الغرب مصداقية وشفافية.

ومع أن الحوار مع الغرب فريضة دينية وواجب حضاري وخلق إنساني وتشريع حكيم وأمر تحض عليه الطباع السوية إلا أن الحوار مع الغرب حتى يكسب قوة لا بد من:

- أن يسبق الحوار مع الغرب كما أسلفنا حوار مع الذات أي حوار داخلي بين الأطياف التي تكوّن مجتمعاتنا فترتيب البيت داخليّاً يسبق الحوار مع الجيران.
- إيجاد صيغة توافقية جماعية داخلية على أهمية التلاقي (التمهيد الذهني) فحتى يكسب الحوار مع الغرب قوة علينا أن نؤسس لمعرفية داخلية واضحة المعالم حتى لا نتحاور بمنطق التشرذم والتفكك الذي يكوّن



الذات الضعيفة التي لا تقوى على الحوار مع الأقوى ، وسيكون اللقاء لمجرد الإملاء ، ومن ضعف الداخل يتولد ظلم الخارج ، لذلك أصر على أن هدف هذا البحث إيجاد الخطوة الملازمة لبدء الحوار مع الغرب أو التي تسبقها وهي العودة إلى الذات وتنقيتها من فقه التكفير.

*** مشكلة الدراسات التي تتناول العلاقة مع الغرب:**

حُفر القلق والتي يتعثر بها أي معد لبحثٍ من هذا النوع ، هي في طريقة تناول الكثير من الدارسين لعلاقة الغرب بالعرب والمسلمين . فهي في غالبها ترتكز على:

١. **طيف واسع من الجدل التبريري** (المماحكات و السجالات) أو السطحية التي تعتمد على الوعظ أو التبسيط المخل أو أشبه ما يكون باللغو الفكري ، بحيث تقوم على عقلية التشكي والتظلم من وقوف الغرب ضد مصالحنا من جهة، ومن جهة أخرى عقلية الانبطاح التي تعتمد على الانبهار بالغرب والانسلاخ عن أصولنا ومعارفنا وتقاليدنا المعرفية بغية إرضاء الغرب.

٢. **الذين يروجون لثقافة نهاية التاريخ أو صراع الحضارات و يريدون إقناعنا بأن الغرب** يختصر في هذه الرؤى هم من تجار المافيا الفكرية التي تريد تعميق الخلاف وتأجيج النزاع . ويعتذر الباحث عن كثير من الدراسات التي تتناول علاقتنا بالغرب على هذا النحو . لذلك ينبغي ألا ندع الحواجز تتكون من خلال شعارات من قبيل صدام الحضارات أو صراع الأديان فالمستقبل يكون في الحوار وليس في الصراع أو



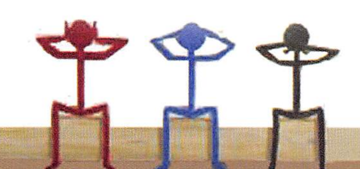
الصدام. نحن في أمس الحاجة لقادة مستنيري الرؤى يصنعون التاريخ وليس قادة يكون تصورهم أو رؤيتهم نهاية التاريخ.[٦]

٣. **لا يمكن اعتماد الكثير من الدراسات التي تعتمد على التعميم التعسفي** وتستخدم ألفاظاً مثل «كل» أو «جميعاً» (الألفاظ التي تفيد الاستغراق والشمول) لأنها تتناقض كليّاً مع التفكير الموضوعي الذي يعتمد النسبية والموضعية.[٧]

٤. **الكثير من الدراسات اليوم تعتمد على التأجيج الديني** واعتماد حرب الأصوليات لهجةً وتعاملاً مع الآخر ، و لا يمكن للعالم أن يكون أكثر أمناً وبعض الكهنة ومافيا التكفير الديني لا يهمهم سوى تأليب المؤمنين بعضهم على بعض ليكون القتل الوسيلة المفضلة للتواصل بين الأديان والطوائف والجماعات وبين الشرق والغرب . ولا يمكن للعالم أن يكون أكثر أمناً والبشرية تسير نحو شحن الخلاف بالمزيد من تراث الانتقام والتنكيل.[٨]

٥. الكثير من الدراسات تؤكد على قيمة الحوار مع الغرب ولكنها لا تبحث الوسائل أو البرامج التي تنقل فكرة الحوار مع الغرب من مجرد الفكرة والتصور إلى التنفيذ والتطبيق.»[٩]

> الغرب يعتمد على فكرة الثنائيات المتقابلة ظالم ومظلوم , شيطان وملائكة , قاتل ومقتول , مما يوحي أن ثمة ضعيفاً وآخر قوياً ولذلك لن يجدي خطاب أخلاقي يصدر من ضعيف، لأنه لن يتعدى كونه مناورة، ولن تنفع قوانين يصوغها قوي، لأنها ستكون بمثابة إكراه يتحلل منه أصحابه بمجرد انقضاء القوة.



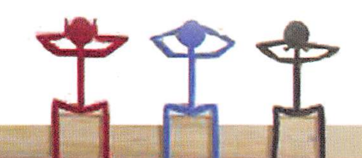
٦. الكثير من الدراسات التي تتناول العلاقة والحوار مع الغرب تعتمد على فكرة الثنائيات المتقابلة ؛ ظالم ومظلوم ، شيطان وملائكة ، قاتل ومقتول، مما يوحي أن ثمة ضعيفاً وآخر قويّاً ولذلك (لن يجدي خطاب أخلاقي يصدر من ضعيف، لأنه لن يتعدى كونه مناورة، ولن تنفع قوانين يصوغها قوي، لأنها ستكون بمثابة إكراه، يتحلل منه ملتزموه، بمجرد انقضاء القوة الضاغطة خلفه).[١٠]

٧. **الكثير من الدراسات تنطلق من التنبؤ بقرب انهيار الحضارة الغربية مما** يسيطر على مساحة منها رصد العيوب والحديث الشامت.[١١]

الفصل الثاني

مبدأ الحوار في الإسلام

*دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التوافق والتقارب والحوار
الذي تمكن به من الوصول إلى قلوب
الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة رافعاً.





الفصل الثاني

مبدأ الحوار في الإسلام

(١٠) «الإسلام دين رضيه الله للبشرية جمعاء ، دعا إلى حسن الخطاب وعُني عناية كبيرة بموضوع الكلام وأسلوب أدائه . لأن الكلام الصادر عن إنسان ما يشير إلى عقله ..

وطبيعة خلقه ونوع تربيته. ولأن لغة الكلام عند المجتمعات هي في الحقيقة لغة السلوك وهي مقياس مستواها العام» حيث يحظى الحوار بعناية هامة في الشريعة الإسلامية وتمت الدعوة و التطبيق له باعتباره مساراً جيداً من الخطاب ويتجلى ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية.

(١) الحوار تحت ظل القرآن الكريم :

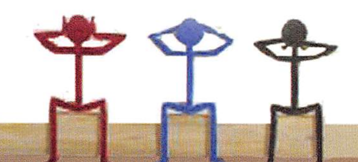
القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمنقول إلينا بالتواتر والمتعبد بتلاوته ، فتح باب الحوار بين دفتيه ، وطبق له ، ويتضح ذلك على مستويين :

> الكلام الصادر عن إنسان ما .. يشير إلى عقله .

١ – مستوى اللغة القرآنية كلغة للحوار.

٢ – مستوى تمييز القرآن الكريم للحوار.

وتعتبر اللغة القرآنية لغة الدعوة إلى الحوار والتطبيق له وذلك استناداً إلى عدة أدلة من بينها :» أن مادة (القول) وما اشتق منها كقال، ويقول، وقل، وقالوا، ويقولون، وقولوا،... إلخ هذه المادة التي تدل على التحاور والجدل والمناقشة والمراجعة بين الناس في أمور معينة قد تكررت في القرآن أكثر من ألف وسبعمائة مرة « ، كما أن كلمة «حوار» رغم أنها لم ترد مصدراً وإنما وردت مشتقات لها مثل يحور في قوله تعالى : (إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَن يَحُورَ). ويحاوره في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ



ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ . وتحاوركما في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ فإن هذه الاشتقاقات لم تخرج عن معنى المراجعة والمجاوبة عند أهل التفسير والدارسين للغة القرآنية ، واللذين هما جوهر الحوار في اللغة. كما عرض القرآن الكريم حوارات متعددة لغير أهل الإسلام والخارجين عنه في أسلوب منصف وعادل.

أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم حوار مع الناس جميعاً ويخاطبنا فرداً فرداً ، إذ إن تلاوته تجعلك تعيش حواراً متواصلاً مع الخالق سبحانه، ويلمس الإنسان ذلك بالخصوص في الآيات التي تبتدئ بياء النداء : يا أيها الذين آمنوا ، يا أيها الناس ، يا أيها الإنسان ، يا عبادي .... وبالطلب والأمر والنهي والتي تجعل حركية الحوار منتعشة في الحياة الإنسانية .

ولقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

اثنان منها في صيغة الفعل؛ وهما :

قوله تعالى: { فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف:٣٤]، وقوله تعالى في نفس السورة: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً}[الكهف:٣٧]. وهنا نجد أن الحوار غايته بيان الحجة وتقديم البرهان على وجوب طاعة المخلوق للخالق.

أما الثالث فورد في صيغة المصدر في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة:١]».

«أيها الأحبة، علينا أن نتعلم أن يكون كل واحد منا هو إنسان الحوار ومجتمع الحوار، لأننا لا نريد أن ننعزل عن العالم ، نريد أن ندخل إلى العالم من الباب الواسع لنؤكد أصالتنا في ثقافة العالم ، ولنفهم كيف يفكر العالم لنلتقي في مواقع اللقاء ونتحاور في مواقع الخلاف، وأحب أن أشير إلى نقطة ، وهي منهج الحوار في



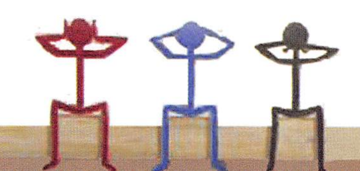
القرآن ، والذي لم يقترب إليه أي منهج في الحوار حتى الآن، لأن المنهج المعروف الآن أنّ رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، فتعطي لنفسك ٧٠٪ من الصواب وتعطي الآخر ٣٠٪ من الصواب، كما أنك تعطي لنفسك ٣٠٪ من الخطأ والآخر ٧٠٪ من الخطأ».

وفي القرآن الكريم تتضح الطريقة التي يريد الله سبحانه لرسوله أن يدير بها الحوار مع المشركين والكافرين، يقول تعالى: {وإنا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين}[سبأ: ٢٤]، قد أكون على هدى ١٠٠٪ وقد أكون على ضلال ١٠٠٪، وقد تكون أنت على هدى ١٠٠٪ وقد تكون على ضلال ١٠٠٪. هناك حقيقة ضائعة بيننا، فتعال لنتحاور من أجل اكتشاف هذه الحقيقة، وليتحول الحوار إلى رحلة مشتركة بين المتحاورين من أجل البحث عن الحقيقة، فأي منهج للحوار أكثر إنسانية من هذا المنهج، ولكن كما قيل أن الإسلام شيء والمسلمين شيء آخر، والقيمة شيء وأهل القيمة شيء آخر.

* وتنطلق رحلة المنهج الحواري في القرآن :

من بداياته الأولى ، حيث لا بد من أن يتكافأ الطرفان من حيث الاستعدادات النفسية ، وامتلاك القدرة على الحوار ، ومن ثَمَّ تُرسم قواعده التي سيسير عليها، ويلتزم الأطراف بالخضوع لما يكشف عنه الحوار من حقائق ، فإذا تم الأمر ، إما أن يصل الأطراف إلى نتيجة واحدة فيكون قد نجح ، وإما أن لا يقتنع أحد الفريقين أو أن يعاند فإنه يمارس حقّاً اعتُرف به بقبول الحوار ، وعندما ينتهي الحوار إلى هذه النتيجة فللمسلم رسالة يختم بها حواره تتمثل بتذكير الطرف الآخر بأنه السبب فيما وصل إليه.

> علينا أن نتعلم أن يكون كل واحد منا إنسان الحوار ومجتمع الحوار، لأننا لا نريد أن نعزل عن العالم



* عناوين لتفاصيل قرآنية حول الحوار نذكر بعضها فيما يلي :

١ - امتلاك الحرية الفكرية :

لا بد لكي يبدأ الحوار أن يمتلك أطرافه حرية الحركة الفكرية التي يرافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا ينسحق أمام الآخر لما يشعر به من الأبهة والسطوة التي يمتلكها الآخر ، فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه وبالتالي بفكره وقابليته لأن يكون طرفاً للحوار فيتجمّد ويتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر.

لذلك أمر الله رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه ، فقال سبحانه:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الكهف:١١٠] ، وقال عز وجل:{قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إلاّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[الأعراف:١٨٨].

٢- مناقشة منهج التفكير :

إذا امتلك أطراف الحوار الحرية الكاملة فأول ما يُناقش فيه هو المنهج الفكري - قبل المناقشة في طبيعة الفكر وتفاصيلها- في محاولة لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها؛ وهي أن القضايا الفكرية لا ترتبط بالقضايا الشخصية، فلكلٍّ مجاله ولكلٍّ أصوله التي ينطلق منها ويمتد إليها، قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا ولا يَهْتَدُونَ} [البقرة:١٧٠]، {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إلاّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُقْتَدُونَ* قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءكم قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ}[الزخرف:٢٣-٢٤] .

٣- الابتعاد عن الأجواء الانفعالية :

من عوامل نجاح الحوار أن يتم في الأجواء الهادئة ؛ ليبتعد التفكير فيه عن

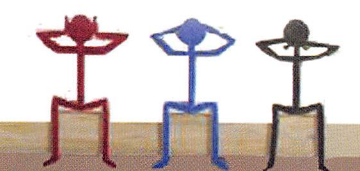
الأجواء الانفعالية التي تبتعد بالإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنَّه قد يخضع للجو الاجتماعي، ويستسلم لا شعوريّاً مما يفقده استقلاله الفكري، قال تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}[سبأ:٤٦]، فاعتبر القرآن اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي العدائي لخصومه؛ لذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء.

٤- التسليم بإمكانية صواب الخصم:

ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلي وبأنَّ الخصم قد يكون على حق، فبعد مناقشة طويلة في الأدلة على وحدانية الله تأتي هذه الآية في سورة سبأ، قال تعالى:{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاوَاتِ والأرض قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}[سبأ : ٢٤]، فطرفا الحوار سواء في الهداية أو الضلال، ثم يضيف على الفور في تنازل كبير بغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار، قال عز وجل:{قُل لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ولا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[سبأ:٢٥]، فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجرام على الرغم من أنه هو الصواب، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله، قال سبحانه:{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ}[سبأ:٢٦].

٥- التعهد والالتزام باتباع الحق:

هذا ولا يكفي مجرد التسليم الجدلي بإمكانية صواب الخصم، بل لا بد من التعهد والالتزام بإتباع الحق إن ظهر على يديه، حتى ولو كان التعهد باتباع ما هو باطل أو خرافة إذا افتُرِض أنه ثبت وتبين أنه حق:{قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}[الزخرف:٨١].



٦- الانضباط بالقواعد المنطقية في مناقشة موضع الاختلاف :

فإذا تم الالتزام بهذه الأسس فإنَّ الحوار ينطلق معتمداً على قواعد العقل والمنطق والعلم والحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فما أكثر ما يرد في القرآن:{هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}[البقرة:١١١]، [الأنبياء:٢٤]، [النمل:٦٤]، [القصص:٧٥]، وقال تعالى مرشداً إلى اعتماد العلم والحجة في الحوار:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ}[الحج:٨]، [لقمان:٢٠]، {هَاأَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ}[آل عمران:٦٦]، وفي اتباع اللين والحكمة والموعظة الحسنة يأمر الله موسى عليه السلام:{اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فقولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[طه:٤٢-٤٤]، ويأمر باتباع الحكمة في الدعوة :{وَمَنْ أَحْسَنُ قولاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ* وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[فصلت:٣٣-٣٤].

٧- ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج :

إذا سار الحوار جادّاً وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف ؛ فلا بد أن يصلوا جميعاً إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب ، فإذا رفض المحاور الحجج العقلية كأن لم يقتنع بها ؛ فإنه بذلك يمارس حقّاً أصيلاً كَفَلَه له رب العزة، وسيكون مسئولاً عن ذلك أمام الله تعالى.

وفي هذه الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر والانفعال، قال تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ}[هود:٣٥]، {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}[القصص:٥٥].



٨- التأكيد على استقلالية كلٍّ من المتحاورين ومسؤوليته عن فكره :

قبل الانفصال بين المتحاورين يتم التأكيد على استقلالية كل طرف ومسئوليته عن نفسه ومصيره، قال تعالى: {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ، قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}[الأنعام:١٣٤-١٣٥]، وعلى لسان شعيب يقول تعالى:{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ}[هود:٩٣]، وقال تعالى:{وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ* وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُون} [هود:١٢١-١٢٢]، وقال سبحانه:{قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}[سبأ:٥٠].

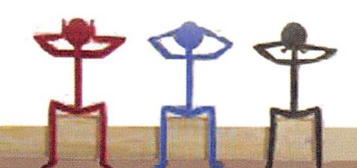
٩-الإشهاد على المبدأ وعدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال أثناء الحوار :

وفي آخر الحوار يتم إشهادهم على المبدأ والتمسك به، قال تعالى:{فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[آل عمران:٦٤].

ولا حاجة في أن يُتَابَعَ الخصم على ما بدر منه من إساءات في الحوار ، وليكن العفو والصبر أساساً وخلقاً في التعامل مع الجاهلين، قال سبحانه:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف:١٩٩]، {اصبر على ما يقولون}[ص:١٧]، {فاصبر على ما يقولون}[طه:١٣٠]، [ق:٣٩]، {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُنتَظِرُونَ}[السجدة:٣٠]، {فَأَعْرِضْ عَن مَن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[النجم:٢٩]، {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً}[المزمل:١٠].

(٢) الحوار ثمرة أنبتتها شجرة السنة النبوية :

إذا كان القرآن الكريم يدعو إلى الحوار ويطبق أسلوبه، فإن السنة النبوية



بدورها تواصل هذه الدعوة وتمارسها، ويمكن استخلاص ذلك من خلال..

ممارسة النبي _صلى الله عليه وسلم_ وأصحابه للحوار :

رغم أن كلمة حوار لم ترد مصدراً في الحديث النبوي وإنما وردت مشتقات لها فإن اللغة في الحديث النبوي تشير إلى كونها لغة حوار بالدرجة الأولى، حيث إن أغلب الأحاديث النبوية عبارة عن أجوبة، وأسئلة خاطب فيها النبي _صلى الله عليه وسلم_ الناس وأجابوه عليها، كما نجد لفظ القول كقال ويقول وقل متردداً بكثرة في الأحاديث النبوية إضافة إلى أن لفظ أو مصطلح (الحديث) يعلم بوجود حوار يقتضي أطراف له «مخاطِب ومخاطَب».

والسنة النبوية مليئة بالمواقف الداعية إلى نبذ الاختلاف والتفرقة، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿لا تختلفوا فتختلف قلوبكم﴾. كما بين أن الاختلاف وكثرة الأسئلة غير المجدية والتي هدفها الفتنة والتفرقة والتعجيز كانت سبباً كافياً لهلاك كثير من الأمم السابقة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن مما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم). في حين دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التوافق والتقارب والحوار الذي تمكن به من الوصول إلى قلوب الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة رافعاً الشعار الوارد في الآية القرآنية: {تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤].

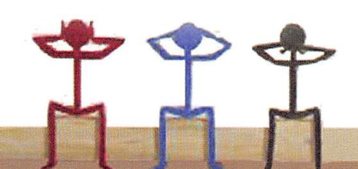
> الصحابة رضي الله عنهم ساروا على نهج النبي-صلى الله عليه وسلم- في الحوار في حياته، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى حيث تمت محاورات هامة لاختيار الخليفة الأول للنبي -عليه الصلاة والسلام-.

هذا الحوار الذي يدعو إلى الحقيقة المتمثلة في التوحيد في أعلى مستوياته حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم رغم أنه مبعوث ومختص بالرسالة التوحيدية فإن أسلوبه في الحوار كان واسع النطاق إلى حد دعوة الغير إلى البرهنة على ما يعتقدون إذا كان هذا الغير يعتبر التوحيد مجرد ادعاء يقول الله تعالى في كتابه العزيز على لسان رسوله الكريم:{وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} أضف إلى هذا كله نهجه لمبدأ وأسلوب الشورى في أمور الدولة - فيما لا نص فيه- مع أصحابه وسنها من بعده حتى وصفهم القرآن الكريم بها:{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى:٣٨].

كما أن السنة النبوية مليئة بالحوارات في مُختلف الأصعدة مثل :

حوار الله تعالى مع ملائكته ومع عباده وحوار الرسول _عليه الصلاة والسلام_ مع جبريل والأنبياء _عليهم السلام_ والأعراب والصحابة وزوجاته أمهات المؤمنين والخدم ومع الصغار والوفود والملوك . كما أن الصحابة رضي الله عنهم ساروا على نهج النبي _صلى الله عليه وسلم_ في الحوار في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، حيث تمت محاورات هامة لاختيار الخليفة الأول للنبي _عليه الصلاة والسلام_ مما نتج عنه استقرار الأمر على الخليفة أبي بكر _رضي الله عنه_ في قاعة التشاور والتحاور» سقيفة بني ساعدة» كأول نتيجة للحوار والتشاور بعد وفاة النبي _صلى الله عليه وسلم_ تبين من خلالها مدى تشبع الصحابة_ رضي الله عنهم_ بروح الحوار النبوي الذي يبني ولا يهدم .

ومن الحوارات التي كان لها الأثر البارز على الأمة الإسلامية في عهد الصحابة الحوار الذي دار بين ثلاثة من كبار الصحابة رضي الله عنهم أبي بكر وعمر و «٢٣» زيد بن ثابت والذي أفضى بعد المراجعة وحسن الخطاب وقوة



الدليل إلى جمع القرآن وتدوينه في مصحف على يد زيد بن ثابت بعد وفاة العديد من القراء في حروب الردة.

بقدر ما يكون الحوار إيجابيّاً يكون متميزاً في حياة الفرد وحياة الجماعة وبقدر ما يكون سلبيّاً يكون هداماً لكيان الفرد وكيان الجماعة ولكي يكون الحوار إيجابيّاً لا بد من تأطيره بآداب وضوابط وتحديد العوائق التي تؤدي إلى سلبية الحوار وانعدامه.

(٣) الحوار الحضاري مع الغرب من وجهة نظر الإسلام :

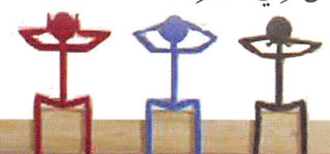
«يقتضي الحديث عن الصراع الحضاري من مفهوم العالم الإسلامي والعربي التأكيد على أن «٢٤» د. المهدي المنجرة أول من أطلق مفهوم صراع الحضارات في حوار أجرته معه مجلة المرآة الألمانية der spiegel بتاريخ ١١ فبراير ١٩٩١ واعتبر فيه حرب الخليج الأولى بمثابة الحرب الحضارية الأولى وفي نفس السنة أصدر هذا المفكر كتاباً بنفس العنوان ونشر باللغات : الإنجليزية والفرنسية و اليابانية .

د. المنجرة يرسم لعالم اليوم ثلاثة تخوفات أساسية تزعج الغرب : الخوف من النمو الديموغرافي لأن الغرب لا يمثل سوى ٢٠٪ من سكان العالم. التخوف من سكان العالم والتخوف الآخر يتجسد في الإسلام لأن عدد المسلمين في تكاثر وهذا ما جعلهم يصلون إلى قرابة ٤٠٪ من سكان العالم. وأخيراً نجد الخوف من تطور آسيا وخاصة اليابان. أما فيما يخص أشكال الصراع الثقافي فيرى المنجرة أن هناك خمسة محركات أساسية: الأحادية القطبية لأمريكا، القوة، العسكرية، والتطور الثقافي بالعراق والذي بدأ يهدد الغرب وإسرائيل، وأخيراً رغبة الغرب الملحة في التحكم في الدول التي كانت تقع في قبضة الاستعمار» هذه هي نظرة الفكر الإسلامي والعربي التي يمثلها الدكتور المهدي المنجرة باعتباره أحد أبرز



«٢٤» د. المهدي المنجرة أول من أطلق مفهوم صراع الحضارات في حوار أجرته معه مجلة المرآة الألمانية der spiegel بتاريخ ١١ فبراير ١٩٩١ واعتبر فيه حرب الخليج الأولى بمثابة الحرب الحضارية الأولى.

أقطاب الفكر العالمي في علم المستقبليات. كما نجد في الدراسات الإسلامية ما يدعم سنة الاختلاف والتنوع ما اصطلح عليه التدافع كسنة غايتها التوازن والاستقرار في الدنيا والآخرة وهو درجات: فالدفع «كالمنع والدرء يكون بوسائل عدة بدءًا بالدعاء _(الاستدفاع)_ ومروراً بالحوار والتفاوض والمقاضاة _(الدفاع)_ وانتهاءً باستخدام القوة البدنية والقوة المسلحة _(التدافع)_. والدفع في الإسلام لا يكون إلا لغرض مشروع هو منع الفساد في الأرض، قال تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:٢٤٩]، وحيث إن أكبر فساد من منظور الشرع هو الفتنة في الدين، قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة: ١٩٠]، والتي تنطوي على الاعتداء على الحرية الدينية والإخلال بالتعايش الديني فقد خص الله دفع مثل هذا النوع من الفساد كغاية، ومن غايات الدفع؛ قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج: ٤٠]، ومنه «فلا يجوز للمسلم أن يُكره أحداً على الدخول في الإسلام فمن شاء أن يؤمن ومن شاء أن يكفر، أما إذا امتدت يد العدو بالعدوان فهنا يأذن الإسلام لأتباعه أن يردوا العدوان بالعدوان إقرارًا للمسلم وإقامة للعدل، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ



لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[البقرة:١٨٩]. وعلى المسلمين أن يقاتلوا من حمل السلاح فقط ومن أثار الفتنة أما غيرهم ممن لم يقاتل أو لم يثر الفتنة والضعفاء والعجزة والعبّاد والنساء والأطفال فهؤلاء لا يقاتَلون.

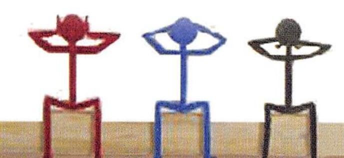
إن الحرب في الإسلام ليست هي القاعدة وإنما هي الاستثناء من القاعدة، فالحرب إذا بدأ العدو جاهده المسلمون لرد عدوانه ضرورة. والضرورة تقدر بقدر أسبابها وعقوبة تزول بزوال الجريمة التي أوجبتها».

وهكذا يبدو جليّاً للعيان أن إستراتيجية الدفع التي يدعو إليها الإسلام تختلف تماماً عن إستراتيجية الصراع التي يتبناها البعض، سواءً من حيث الأساس أو الهدف أو الوسائل، فإن إستراتيجية الصراع قائمة على أساس ظني يزعم أن الصراع قانون طبيعي لازم ويلازم الوجود أبداً، بينما إستراتيجية الدفع قائمة على أساس يقيني مفاده أن الصراع بين البشر أمر واقع إلا أنه ليس سنة كونية لازمة. ومن حيث الهدف تركز إستراتيجية الصراع كما هو الحال في أي مصارعة على التغلب على الطرف الآخر وطرحه أرضاً ما أمكن، طلباً للسيطرة والهيمنة عليه، وفي المقابل تهدف إستراتيجية الدفع أساساً إلى دفع الفساد وليس المفسد أي يركز على وقف الصراع أو المصارعة وليس طرح المصارع أرضاً، ويبدو ذلك جليّاً في حرص الشرع على دفع العداوة بما هو أقرب لا إلى التغلب الظاهر على العدو وإنما إلى تحويل العدو أو الخصم إلى ولي حميم. ومع اختلاف أسس وأهداف الإستراتيجية كان من الطبيعي أن تختلف وسائلها واعتبارات أو ضوابط استخدامها .

> فالحوار ممكن بل واجب لكن لا يملك أحد سلطة قهر الآخرين لتوحيدهم في إطار رؤيته ومصالحه

ومن هذا كله يمكن القول بأن الثقافة الإسلامية توفر فيها كل الشروط السابقة، في حين يبقى السؤال العريض لماذا كان التقاء الثقافة الإسلامية بالثقافة الغربية متذبذباً؟ السبب أن «**الثقافة الإسلامية قائمة على الإيمان بالله والتوحيد لذاته وصفاته وأفعاله والالتزام الأخلاقي واقتران العلم بالعمل، وتحقيق الفضيلة الإنسانية في أعمق معانيها وأوسعها . بينما الثقافة الغربية لا تعترف بشيء من هذه المبادئ من ألوهية أو توحيد أو التزام أخلاقي بأي قيم ثابتة، لأنها تؤله العقل و تفصل بين الدين والدولة حتى في العقيدة التي تدين بها**، ولا تقوم بغير النسبي والمتطور والنافع في الحياة المادية، وتعتبر الأخلاق نظاماً من القيم النسبية الآيلة إلى مواصفات الناس» . وتضع نموذجًا خاصًا بها من الثقافة تريد فرضه على العالم وجعله (ماركة مسجلة) لا يجوز اختراقه في إطار العالم قرية صغيرة أو ما يسمى بالعولمة من أجل توحيد الحضارات على ما لم تكن قد توحدت فيه! ومنه يتبين الفرق الكبير بين «حوار الحضارات وتوحيدها . فالحوار ممكن بل واجب لكن لا يملك أحد سلطة قهر الآخرين لتوحيدهم في إطار رؤيته ومصالحه . ومهما كانت السلطة الاستكبارية قوية فهي مؤقتة في فعاليتها . إذ بإمكانها أن تتسلط على البلاد والعباد لكنها لا تستطيع تغيير القيم والمبادئ بمجرد السيطرة». ولكن السلطة التي تعلو ولا يعلى عليها هي سلطة العدل والقيم الفاضلة التي توجد في القلوب النظيفة، و أصحاب هذه القلوب هم الذين يجب أن تتحاور ثقافاتهم ويعقد لها الندوات والمحاضرات وغيرها من الأمور التي تجمع ولا تفرق، ولا أن ترفع تجاهها البنادق ولا تسير إليها الدبابات.

(١٣) يعتقد أحد المفكرين الإسلاميين المتميزين، أننا قد أكثرنا وبالغنا في مناقشة موضوع الإسلام والغرب. وقد نكون فعلاً قد ارتكبنا ما يكون مدعاة للضجر من مناقشة هذا الموضوع وما يتضمنه من صدام وحوار، لكننا بالتأكيد لم



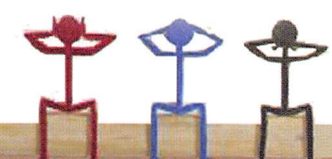
نبالغ في إبراز أهميته وخطورته، فلقد أصبحت علاقة المسلمين بالغرب في أعقاب ١١ سبتمبر قضية قائمة بحد ذاتها وتفوق في خطورتها العديد من قضايا السياسة الدولية المعاصرة. فكيف يمكن فهم دوافع الصدام وإمكانية التعايش والسلام بين المسلمين والغرب؟ أسباب عديدة تقف وراء التوتر الحالي بين المسلمين والغرب، أسباب في الغرب وأسباب في الدول الإسلامية تعمل على تأجيج التوتر الحالي وعلى بسط الفجوة بين الطرفين، فالمسلمون لهم أسبابهم والغربيون لهم أسبابهم أيضاً، وإذا كان فهم كل طرف لأسباب الطرف الآخر هو أمراً مهمّاً فالأهم هو الظفر في تجنب الصدام. وإذا تأملنا في الجانب الإسلامي يمكننا أن نرد دواعي كره المسلمين للغرب إلى اعتبارات تاريخية تعود إلى فترة الحروب الصليبية والاستعمار وإلى اعتبارات خاصة بالقضية الفلسطينية، حيث يرتبط الغرب وخاصة الولايات المتحدة في أذهان المسلمين بدعم إسرائيل. وكثيرون في الدول العربية والإسلامية يكرهون الغرب أيضاً، لاعتقادهم القوي بأن الغرب خلال الحرب الباردة كان هو المسؤول عن فشل الكثير من مشاريعهم الوطنية والتنموية، ومن ذلك مثلاً تحميل الغرب مسؤولية فشل المشروع القومي العربي والقضاء على حركة مصدق الوطنية في إيران وإخفاق سياسات سوكارنو في إندونيسيا ومنهج وجدانية نكروما في غانا وغير ذلك كثير. فالغرب خلال الحرب الباردة كان هو العدو في مجتمعات إسلامية كثيرة. وعندما تطورت الصحوة الإسلامية في أواخر السبعينيات الميلادية، أدت إلى نتيجتين مختلفتين: فلقد أدت بعض إفرازاتها إلى تعميق الفجوة الثقافية والدينية بين المجتمعات الليبرالية الغربية والمجتمعات الإسلامية المحافظة. وفي اتجاه سياسي معاكس للاتجاه الثقافي، شهدت تلك الفترة تعاوناً قويّاً بين الحركات السياسية الإسلامية وبين أمريكا في مسألة محاربة الشيوعية في أفغانستان. وبالتالي فإن توسع الفجوة الثقافية بين المسلمين والغرب في تلك

الفترة لم يؤثر كثيراً على تطوير العلاقات الودية بين الطرفين، فلقد غطى تعاونهما السياسي على الهوة الثقافية التي كانت تتزايد بينهما حدّةً وعمقاً، ولكن انقضاء (شهر العسل السياسي) بين الحركات السياسية الإسلامية والحكومة الأمريكية وتطور الخلاف ثم إعلان الحرب بين الطرفين، أدى إلى تغير الأمور بشكل جذري حيث بدأت مشكلات الفجوة الثقافية بالظهور بعد أن كان التحالف السياسي السابق يطغى عليها. فالفجوة الثقافية التي لم تؤثر بشكل سلبي على علاقات المسلمين بالغرب في بداية سنوات الصحوة الإسلامية أصبحت اليوم تغذي مشكلة الاختلافات السياسية بين الطرفين وتزيد من حدتها.

وإذا تأملنا كذلك في المجتمعات الغربية نلاحظ أن أسباب مشكلتها مع المجتمعات الإسلامية تعود أيضاً إلى اعتبارات تاريخية مرتبطة بالحروب الصليبية، واعتبارات خاصة بالفجوة الثقافية القائمة بين مجتمعات دينية محافظة من طرف ومجتمعات علمانية»٢٥» ليبرالية من طرف آخر. ويضاف إلى ذلك أن دولاً عربية وإسلامية كثيرة كانت تعارض وتعادي المعسكر الغربي أثناء الحرب الباردة، ولكن الصحوة الإسلامية _كما ذكرت آنفاً_ أدت في البداية إلى تقريب موقف الحركات الإسلامية من الغرب ثم انقلبت الأمور رأساً على عقب حيث أقدمت بعض هذه الحركات على ضرب المصالح الغربية في أعقاب انتهاء الحرب الباردة مباشرة وهو الأمر الذي جعل هذه الحركات ومن ورائها المجتمعات الإسلامية تظهر بمظهر العدو الجديد الذي حل محل الشيوعية في تهديد المصالح الغربية وتعريضها للخطر. لذا من الواجب الرجوع لأساس الدين الإسلامي؛ القرآن والسنة.

- **أبعاد رؤية إسلامية، عربية، إستراتيجية عن الحوار والتعاون الثقافي:**

على ضوء كل ما سبق، يمكنني طرح العناصر التالية لأبعاد رؤية عربية إسلامية إستراتيجية عن الحوار والتعاون الثقافي تتلخص كالآتي :



أ - المنطلقات :

إن جدالات العولمة، ثم جدالات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر كشفت _ثم أكدت على التوالي_ عن عمق ما وصلت إليه أزمة المسلمين في عصر العولمة وعصر الهيمنة الأمريكية، وعلى نحو أضحت معه الحاجة ماسة للبحث عن مؤشرات الممانعة والمقاومة في مقابل دعوات الانهزامية باسم العقلانية والرشادة والبرجماتية والواقعية حفاظاً على مصالح قُطرية ضيقة.

ولا يجب اعتبار العولمة قدَراً محتوماً لا فكاك منه. يجب أن لا نجعل تاريخ الحادي عشر من سبتمبر إساراً لإدراكنا بأننا المتهمون، وأن الولايات المتحدة في موقف رد الفعل والدفاع. نحرر مدركاتنا و مصطلحاتنا ومفاهيمنا، فنستدعي: التحرير، والمقاومة، والاستعمار، والعدوان؛ في مقابل السائد الآن: الإرهاب، والآخر، والسلام، والأقليات. يجب عدم فصل الاهتمام بالبعد الحضاري الثقافي عن الأبعاد السياسية وتوازن القوى، بحيث لا نغرق في مقولات دوافع الصراع الحضارية، ناسين دوافع توازنات القوى ومصالحها، أو العكس. وأن نجمع بين أزمة العالم وأزمة الأمة تأكيداً على ما أضحى عليه وضع الأمة في العالم الآن، وأن نفك الاشتباك بين المفهومين الذائعين «حوار الحضارات» و«صراع الحضارات»، ونوفر أو تتضح لنا الشروط اللازمة لإجراء حوار صحي، ونحدد الظروف التي تعزز صراعاً حضاريّاً؛ لأن الاختلاف بين الحضارات _وكذلك الأديان_ لا يولد في حد ذاته الصراع.

ب - الفواعل :

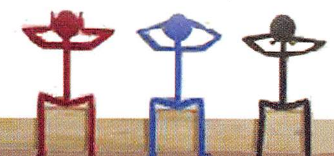
إن العناصر السابقة، إنما تمثل عناصر رؤية فكرية إسلامية شاملة. وهي رؤية لن تتحقق بسياسات حكومية رسمية فقط، إنما هي رؤية تقوم على الاعتراف

بمسئولية الإنسان الفرد وليس الحكومات فقط.. فإذا كان واقع الأمة الراهن لا يفرز استجابات رسمية وحكومية فاعلة للتحديات التي تواجهها الأمة، فإن هناك مصادر أخرى لإمكانيات الحركة المستجيبة؛ ابتداء من الفرد، وامتدادًا إلى الأسرة، إلى قوى المجتمع المدني في تكافلها وتداخلها فيما بينها، وعبر حدودها القومية نحو تضامن عالمي مع القوى الغربية والشرقية، المناصرة لحقوق الإنسان، والمضادة للعولمة وللحرب الأمريكية ضد الإسلام . إن مشاركة المسلمين _أفرادًا وهيئات ومؤسسات وحركات اجتماعية ومدنية_ في هذه التفاعلات من أجل العدالة والحرية والمساواة، لهو من أهم سبل تفعيل الاستجابة للتحديات العالمية التي تواجه عالم الإسلام والمسلمين في القرن الحادي والعشرين، حيث تبدو النظم والحكومات عاجزة وغير قادرة على الاستجابة بفعالية.

إن هذه المشاركات المدنية الشعبية عبر الحدود لهيَ من أهم الإيجابيات التي يوفرها عصر العولمة للمسلمين والإسلام، في مواجهة تحديات «الحرب الأمريكية على الإرهاب». إلا أنه يجدر القول إن هذه المشاركات لا يمكن أن تكون بديلاً كاملاً عن التغييرات الجذرية المطلوبة في الهياكل الدستورية والتشريعية والسياسية التي تنظم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، على النحو الذي يحقق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية، عندئذ تكتمل صور الاستجابة الفاعلة للتحديات الخارجية التي لن يكف عالم الإسلام والمسلمين عن مواجهتها.

جـ - الخصائص:

وإذا كانت الرؤية الإسلامية لا تنطلق من لغة «صراع» ولكن من لغة «تعارف»، ولا تسعى نحو «تنميط» ولكن تقوم على سنة التنوع، وإذا كانت الرسالة الإسلامية «دعوة للعالمين» لا إكراه ولا إجبار فيها إلا أنها أيضاً ليست «اعتذارية، تبريرية، دفاعية». ومن ثَم فإذا كان التحليل السابق يثير علامات الاستفهام حول



مغزى الدعوات من أجل الحوار الثقافي، الحضاري، حوار الأديان كصيغ «للتعاون الثقافي مع الغرب»، فهو أيضاً لا يتبنى أسانيد الأطروحات السائدة عن «الصراع الثقافي، الحضاري، صراع الأديان». والتي تنعكس على علاقات الدول الإسلامية بالغرب بقدر ما تنعكس على علاقة الجاليات المسلمة مع أوطانها الجديدة.

إن التحليل إنما يسعى للتأكيد على بعض الأمور وهي:

- **من ناحية:** تعزيز التعاون حول «حوار ثقافي» بشروط ومضامين تجعله سبيلاً للتعارف الحضاري الحقيقي، ومن ثَم تنأى به عن أن يكون سبيلاً لتمكين ثقافي لطرف على طرف آخر أو أن يكون قناة للاعتذار والدفاع والتبرير في مواجهة «الاتهامات» المتعددة للإسلام والمسلمين سواء في أوروبا ذاتها أو خارجها.

- **من ناحية أخرى:** يقدم رموز الفكر الإسلامي المعاصر أطروحات متكاملة حول «البعد الثقافي» فمن المقاربة بين القيم الإسلامية والقيم الغربية إلى تقديم الرؤية عن الدلالات الثقافية المعاصرة في إطارها السياسي الراهن، إلى تحليل العلاقة بين العولمة والهوية ودور الأديان، إلى البحث في الأبعاد الثقافية السلوكية للمسلمين «الأقليات» في ظل ضغوطات العولمة وما بعد الحداثة، إلى الحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام كضرورات وليس مجرد حقوق، إلى التمييز بين العالمية والعولمة، ومن ثَم العلاقة بين الإسلام والعولمة.

هذه ليست إلا نماذج على سبيل المثال وليس الحصر وهي تعني ـ في نظري ـ نماذج على «المبادرة» الثقافية وليس «الاعتذار» الثقافي. نماذج تدفع للتقدم نحو صياغة رؤية عربية إسلامية وتشارك في هذه الصياغة على المستوى العالمي.

فإذا كان الجميع يتفقون على أن هناك أزمة عالمية ذات بعد قيمي ثقافي واضح



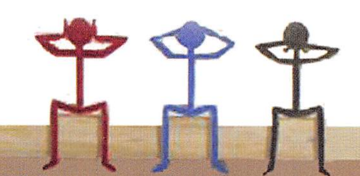
الدلالة، يستوجب مراجعة المنظورات؛ فإن الإسلام قادر على أن يقدم رؤية تساهم في تقنين الرؤية الجارية صياغتها للعالم، وخاصة حول أوضاع الأقليات _ومنها المسلمة_ في العالم.

بعبارة أخيرة، نحن في حاجة لخطاب غير اعتذاري، غير دفاعي، نحن في حاجة لخطاب ينطلق من الذات الإسلامية وخصائصها «وبمبادرة» تجاه الآخر وذلك حتى يتحقق التوازن في الرؤية، والذي هو أساس الفاعلية.

وإذا كانت مفاهيم «ثقافة السلام»، و»ثقافة التسامح»، و»ثقافة قبول الآخر» يتم تداولها في محافل «الحوارات الثقافية»، فإن الطرح الإسلامي لها يجب أن يكون حاضراً وفاعلاً ومؤثراً. وإذا كانت ندوات وحوارات «الإسلام والغرب» تتعدد في تلاقٍ وتقاطع حول أمور شتى، فيجب أن تكون الرؤية الإسلامية حاضرة وفاعلة ومؤثرة. وإذا، وإذا... إلخ.

إذاً المطلوب «المبادرة الثقافية» عند تخطيط رؤية إستراتيجية للعمل الثقافي الإسلامي في الغرب، وذلك انطلاقاً من رؤية كلية عن وضع البعد الثقافي (بين أبعاد أخرى) في هجوم الآخر تجاهنا، وعن وضع البعد الثقافي الإسلامي في مشروع النهوض الحضاري الإسلامي. فهذا البعد الثقافي الإسلامي _الهيئات الإسلامية_ ليس منقطع الصلة بالأبعاد الأخرى: السياسية، والاقتصادية، والعسكرية. وكذلك فإن مشكلات الدول الإسلامية الثقافية لا تنقطع أو تنفصل عن إمكانيات أو قيود العمل الثقافي الإسلامي لنصرة الجاليات المسلمة في الغرب، أو عن العلاقة الثقافية مع الغرب.

وإذا كانت ندوات وحوارات «الإسلام والغرب» تتعدد في تلاق وتقاطع حول أمور شتى، فيجب أن تكون الرؤية الإسلامية حاضرة وفاعلة ومؤثرة.



بعبارة أخرى: إن الرؤية الإستراتيجية المطلوبة، يجب أن تنطلق من عدة أسس، وتنبني على بعض الأسس الأخرى. فليس هناك حوار ثقافي حقيقي بين غير أكفاء من الناحية المادية، كما أن الحوار في ذاته ليس هو السبيل بمفرده لحل مشكلاتنا مع الآخر أو لديه.

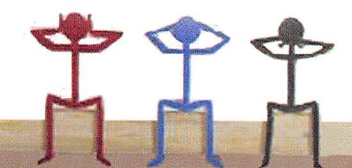
ومع ذلك، فانطلاقاً من وسطية الإسلام وانطلاقاً من رؤيته عن التعارف الحضاري، فإن هذا التعارف الحضاري يمثل السبيل للتجديد الحضاري لدينا من ناحية، ولمشاركة الفكر الإسلامي في عملية التجديد الحضاري العالمي من ناحية أخرى.



صراع الحضارات

الفصل الثالث

لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان لا يتفق مع جوهر هذا الدين.

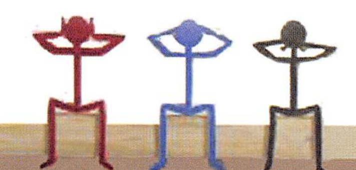


الفصل الثالث

(١) صراع الحضارات:

(١١) لا يتجادل اثنان في كون الدعوة إلى حوار الحضارات تعتبر سمة من سمات النصف الثاني من القرن العشرين الذي أفل منذ أزيد من عقد، وكأنما أدرك العالم بعد اكتوائه بلظى حروب عالمية مدمرة أن البشرية لا تستطيع أن تتحمل حروباً أخرى بعد أن حصدت ويلات كثيرة أسهمت في تفاقم المشكلات الجوهرية الكبرى التي ظل يعاني منها كل من الغالب والمغلوب، لذلك بادرت جهات ومؤسسات كثيرة في العالم إلى تبني الدعوة إلى حوار الحضارات أملاً في الالتقاء على مبادئ موحدة وقواسم مشتركة بين أتباع مختلف الحضارات حيث تكون كفيلة بفتح الطريق للتفاهم والتعاون والتعايش.

لقد دعت محافل ومنظمات كثيرة إلى حوار الحضارات منذ الستينيات من القرن المنصرم ثم انتهى الحوار إلى أوراق نشرت في كتب وأذيعت في صحف لكنها لم تثمر نتائج ملموسة حتى الآن، وعندما ترددت في أرجاء العالم السياسي والفكري نظرية (هانتغتون) عن (صدام الحضارات) كان البديل المنطقي والذي تمت المسارعة إلى استدعائه هو (حوار الحضارات) الذي تمت الدعوة إليه بقوة في جميع المحافل والملتقيات وعُملَ على إنجاحه قصد تجنيب العالم ويلات الصراع، وكوارث الصدام الحضاري. وإذا كانت جهات غربية كثيرة قد دأبت على الدعوة إلى حوار الحضارات وفق شروط وضوابط معينة أملتها ظروف التفوق والاستعلاء الغربي، فإن الطرف الإسلامي لم يكن بعيداً عن فكرة تنظيم مؤتمرات وملتقيات دولية لترسيخ آليات الحوار الحضاري من طرف مؤسسات ومنظمات ثقافية إيماناً



منها بأن (حوار الحضارات) يعتبر مطلباً إسلامياً مُلحّاً يدعو إليه القرآن الكريم وتبشر به السنة النبوية الشريفة وبقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ولبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري تقوم الضرورة القصوى على تهيئة الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار ولإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة.

إن نقطة الانطلاقة الأولى لأيّة استجابة فاعلة، تبدأ من خلال فهم الذات وفهم الآخر، ففي البداية يجب أن نتعرف إلى واقعنا كما هو بالفعل بلا رهبة أو خجل ومن دون تهوين أو تهويل، ثم نتعرف إلى الآخر ونفهمه والمقصود به الغرب وحضارته.

إن الانعزال والتقوقع والانغلاق على الذات في عالم اليوم، الذي تحول إلى قرية صغيرة بحكم التطور التقني الهائل في تكنولوجيا الاتصال أمر مستحيل، كما أن الانسياق وراء الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة هو بحد ذاته عملية تكريس لانتصار الحضارة الغربية الكاسحة، وهو طريق التبعية الحضارية الذي يفقدنا خصوصيتنا الحضارية ويحولنا إلى مجرد هامش لحضارة الغرب.

إن التقاء الحضارات معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وهو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه، وقد تمّ دائماً وأبداً وفق هذا القانون الحاكم (التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام وبين ما هو خصوصية حضارية).

ولا شك أن الخيار البديل لصدام الحضارات هو أن تتفاعل الحضارات الإنسانية بعضها مع بعض بما يعود على الإنسان والبشرية جمعاء بالخير والفائدة. فالتفاعل عملية صراعية ولكنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الراهن، عكس نظرية (صدام الحضارات) التي هي مقولة

صراعية تدفع الغرب بإمكاناته العلمية والمادية لممارسة الهيمنة ونفي الآخر والسيطرة على مقدراته وثرواته تحت دعوى وتبرير أن نزاعات العالم المقبلة سيتحكم فيها العامل الحضاري. والإسلام كدين وحضارة عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات ينكر (المركزية الحضارية) التي تريد أن يكون العالم حضارة واحدة، مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى، فالإسلام يريد العالم (منتدى حضارات) متعدد الأطراف، ولكنه مع ذلك لا يريد للحضارات المتعددة أن تستبدل بالتعصب المركزية الحضارية القسرية، إنما مراد الإسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام.

وإذا كان الإسلام ديناً عالميّاً وخاتم الأديان، فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى تسنم (المركزية الدينية) التي تكره العالم على التمسك بدين واحد، إنه ينكر هذا القسر عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون، قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}[المائدة: ٤٨]، وقال أيضاً: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ}[هود:١١٨ـ ١١٩].

إن دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية. فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعاً:

> لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان لا يتفق مع جوهر هذا الدين.



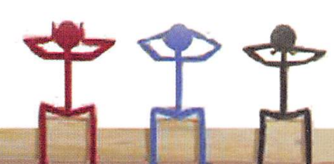
{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}[البقرة:٢٨٥]. بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان لا يتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريدها الإسلام أن تسود حياة الناس. فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب، والتعاون فيما بينها.

(أ) صراع الحضارات مجرد (فزّاعة) تسقطها رياح العولمة ..!

إن (١٢) سياسة ازدواج المعايير والكيل بمكيالين قد زحفت من مجرد تأثيرها في القضايا الدولية والمشكلات العالمية، لكي تصل إلى الأفكار الكبرى والتيارات الضخمة، فظهرت هذه السياسة المزدوجة التي يمارسها الفكر الغربي، ولا أقول السياسة الغربية وحدها. لنجد أن الذين تحدثوا عن العولمة أو الكوكبية وروجوا لها وصفقوا لبنودها السياسية بما فيها المفهوم الجديد للتدخل الإنساني تحت مظلة الشرعية الدولية حتى ولو كان ذلك خرقاً لمبدأ سيادة الدولة الذي كان بمثابة قدس الأقداس لعدة قرون منذ ميلاد الدولة القومية، وكذلك جوانبها الاقتصادية بما فيها من حرية التجارة وانتقال السلع ورؤوس الأموال وانسياب الأفكار والخدمات مع تحفظ وحيد يتصل بحرية انتقال الأفراد، لنجد أنه تعبير آخر عن ازدواج المعايير حتى داخل التيار الفكري الواحد، إنهم أيضاً الذين روجوا لفكر العولمة Globalization بنجاحها الثقافي الذي يتحدث عن الانفتاح بين كل التيارات والتواصل بين الأفكار والحضارات.

والغريب في الأمر أن الفكر السياسي الغربي الذي أفرز ذلك المفهوم الجديد للعولمة، حتى رأى فيه البعض عودة للظاهرة الاستعمارية من الباب الخلفي هو نفسه الفكر السياسي الغربي الذي تحدث عن صراع الحضارات. ويكاد اليوم أن ينقله من إطاره الفكري إلى أن يصبح سياسة شبه معتمدة، وهو أمر يدعو إلى القلق الحقيقي على مستقبل السلام الدولي والاستقرار العالمي، وهنا يظهر التناقض الحقيقي بين فلسفة التيارين، حيث يتبنى أحدهما درجة عالية من الانفتاح والتواصل، بينما يتبنى الآخر درجة عليا من درجات المواجهة والصدام الذي يصل إلى حد التعميم الأحمق والتصنيف الذي لا يستند إلى خلفية مقبولة إنسانيّاً وأخلاقيّاً.

وإذا كان العالم يعيش _في الآونة الحاضرة_ عصر العولمة، بمنجزاتها في التقريب بين الشعوب ثقافيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً ومعرفيّاً، فإن الحديث عن حتمية الصراع بين الحضارات يبدو غير معقول وغير مقبول منطقيّاً، لما ينطوي عليه من المغالطة والتناقض مع ما يحدث وما نشاهده في أرض الواقع. إذ إن العولمة وفقاً لتعريفها تشير إلى عمليات التقارب والاتصال والانفتاح التي اكتسبتها العلاقات الاجتماعية في العالم والتي تمخضت عن تزايد الاعتماد المتبادل بين الناس في مختلف أرجاء المعمورة في تفاعلاتهم، ومعاملاتهم التي تبدو كما لو كانت تحدث في مكان واحد بلا حدود أو مسافات، وفي عالم يؤمن بمجموعة من القيم والمبادئ المشتركة والمتمثلة في سائر الثقافات والحضارات، ويحرص على الالتزام بها والسير وفقاً لمدلولها. ويؤكد ذلك أن عولمة المجتمع الدولي ما كان لها أن تتحقق إلا بزوال الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية السائرة في فلكه، وما ترتب على ذلك من القضاء على الاشتراكية المركزية كنمط للإدارة الاقتصادية وانتشار مبادئ الحرية الاقتصادية والاعتماد على قوى السوق



وتحول الغالبية العظمى من الدول إلى الاندماج في الاقتصاد العالمي.

(ب)حوار الحضارات..وإشكاليات الجدوى :

(١٣) شهدت ساحة العلاقات الدولية خلال التسعينيات أحداثًا ووقائع ومناظرات وسياسات عديدة تترجم صعود الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات، كما تعاقبت المؤلفات والمؤتمرات والندوات العالمية والإقليمية والمحلية التي تناقش إشكاليات هذه العلاقات بين الأنا والآخر، بين نحن وهم. وفي المقابل توالت المبادرات الرسمية أيضاً التي تعكس معاني ومرام الحوار بصفة خاصة، ومن أهمها مبادرة الرئيس خاتمي، ومبادرة الأمم المتحدة.

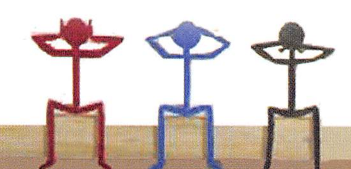
بعبارة أخرى ماجت الساحة الأكاديمية والفكر والسياسة بالأنشطة حول هذا الموضوع والتي شارك فيها باحثون من تخصصات مختلفة؛ فلسفية، واجتماعية، وسياسية، وإعلامية، ومقارنة أديان، وتاريخ حضارات، وعلوم شرعية، ودراسات إسلامية... ناهيك عن المراقبين، وقادة الفكر والرأي العام والإعلام وعلماء الإسلام. وفي خضم هذا الزخم المتواتر والمتعاقب بلا توقف، والمنتشر بلا حدود بين مستويات متنوعة من الأنشطة، كان لا بد لمتخصص العلاقات الدولية أن يسعى للتأصيل النظري لهذا الموضوع. على ضوء قواعد وأسس الدراسة العلمية للعلاقات الدولية في مرحلتها الراهنة؛ أي الموصوفة بمرحلة ما بعد الحرب الباردة، أو مرحلة المراجعة النقدية لحالة العالم.

وكان الدافع لهذا التأصيل، والمبرر للحاجة إليه؛ هو حالة الغموض والفوضى والتداخل والحركة في دوائر مفرغة، والتي أحاطت بدراسة هذا الموضوع، والحركة من حوله؛ والتي تبين الافتقاد للمنهج والرؤية، بالرغم من درجة الأهمية المرتفعة التي اكتسبها المفهوم.

ويبدأ تشخيص الحالة وتفسيرها من تحديد السياق الذي أفرز الاهتمام في الدائرة العربية والإسلامية بالعلاقة بين الحضارات، والاتجاهات الفكرية حول نمط هذه العلاقة، وموضع الحوار بالمقارنة بالصراع، وصولاً إلى معرفة من يحاور من، أو يصارعه فكريًا، وحول ماذا تدور القضايا، وكيف تكون آليات الحوار وقنواته. وهذا التشخيص تمهيد ضروري لتحديد ملامح رؤية إسلامية للحوار.

سياق الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات، والاتجاهات حول نمط هذه العلاقة وأجندتها:

لم يبدأ الحديث عن حوار الحضارات بذاته، ولكنه اقترن اقتراناً قويّاً بالحديث عن صراع الحضارات، كما لم يبدأ هذا الحديث بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، كما يعتقد البعض، ولكن كان قبل ذلك بعدة سنوات، وإن كان قد اكتسب زخمًا فجًا منذ هذه الأحداث، مبرزًا بذلك وزن الأبعاد الثقافية الحضارية في تحليل العلاقات الدولية. ولم يكن جل الحديث في الموضوع بشقيه؛ الحوار أو الصراع، بقدر ما كان حوله. وكذلك تركز معظم الحديث حول إشكالية حوار أم صراع، أي حول نمط العلاقة بين الحضارات، وذلك على حساب الأبعاد الأخرى للموضوع؛ قضاياه، وآلياته، وشروط انعقاده، وأطرافه. وأخيرًا التقت الاتجاهات المختلفة حول وضع الإسلام والمسلمين _بصفة خاصة_ باعتباره يمثل ساحة أساسية في خريطة هذا الموضوع. حيث تتقاطع بالطبع مع قضية نمط العلاقة بين الحضارات مناطق أخرى، مثل: العلاقة بين القيم والأخلاق، والعلاقة بين الأبعاد المادية، والعلاقة بين الأديان.



* ويمكن التفصيل في السمات السابقة وتفسيرها على النحو التالي:

من ناحية: أضافت أحداث ١١ سبتمبر زخمًا للاهتمام بالموضوع. وهو الاهتمام الذي كان قد تفجر مع نشر «٢٥»هانتنجتون مقاله الشهير في عام ٩٣ باسم صدام الحضارات. وبدون الدخول في تفاصيل أطروحات هانتنجتون يكفي الإشارة إلى الملاحظتين التاليتين: إن طرح هانتنجتون يقدم نموذجًا لتفسير السياسات العالمية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، يقوم على وحدة تحليل مغايرة للتي درج الاهتمام بها في الحقل، ألا وهي الحضارة باعتبارها من القوى المحركة والمفسرة للعلاقات الدولية. وبذا فإن هانتنجتون عبّر عن بروز الاهتمام بالأبعاد الثقافية والحضارية وفي مجملها الدين.

ومن ناحية أخرى: مقولات هانتنجتون واضحة وصريحة حول الصدام بين الإسلام والغرب صدامًا حضاريًا ودينيًا. وهنا يجب الوعي لأمرٍ هام، وهو أن هانتنجتون لم يضع فقط الإسلام كعدو للغرب، ولكن يبرز تحليله وبقوة، كيف أن الغرب هو عدو الإسلام والمسلمين والحضارات الأخرى. فإن غير المعلن لدى هانتنجتون هو أن مصدر التهديد بالصدام بين الحضارات، هو هيمنة الغرب وقوته، وليس الحضارات الأخرى. حيث إن الأخيرة تصحو في مواجهة هذه الهيمنة الغربية؛ ولهذا فهي تمثل تحدياً وخطراً ثقافيّاً، وعلى الغرب أن يواجهه.

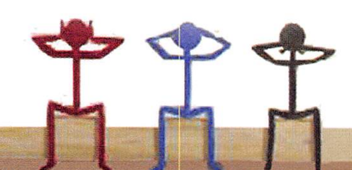
وبدون الدخول في تفاصيل القراءات النقدية لأطروحات هانتنجتون، يكفي القول في هذا المقام، إنه قد تولد حولها جدال، تفرع بين عدة اتجاهات، اختلفت حول نمط العلاقات بين الحضارات، وقدمت إجابات متنوعة حول مجموعتي الأسئلة التاليتين: الأولى: هل تُعَدّ الحضارة والأمة وحدة للتحليل في العلاقات الدولية؟ وما فائدة مفهوم الحضارة لدراسة العلاقات الدولية؟ وما قدر الأهمية الذي يجب إعطاؤه للأبعاد والقيم الثقافية والدينية، سواء عند دراسة

العلاقات الدولية أو صياغة السياسات الدولية؟ والثانية: هل صراع الحضارات قد حل محل صراع القوى أو صراع الطبقات كمحرك للعلاقات الدولية؟ وهل حوار الحضارات أم صراعها يقتصر على الأبعاد الثقافية أم يمتد إلى الأبعاد المادية للقوة وقضاياها؟ وما شكل حالة التوازن العالمي الذي يسمح بحوار حضارات سوي وفاعل؟ وقبل هذا وذاك، يأتي السؤال: ما هو أصل العلاقة بين الحضارات؛ الحوار أم الصراع؟ وهل يصح طرح السؤال على هذا النحو أم يجب التساؤل متى يكون الحوار؟ ومتى يكون الصراع؟ على اعتبار أن الاختلاف بين الحضارات في حد ذاته ليس هو السبب في الصراع، وحيث إن السياقات الدولية هي التي تؤثر على بروز إحدى الحالتين على الأخرى وفقاً لطبيعة المرحلة التاريخية. ومن ثَم هل يمكن أن تفرز حالة الفوضى العالمية الجديدة وضعاً آخر غير الصراع؟ وهل يمكن أن يكون الحوار هو السبيل أمام العالم للخروج من أزمته الحالية؟

ولقد انقسمت اتجاهات الجدل حول أطروحات هانتنجتون بين ثلاثة:

الاتجاه الأول: يؤكد مقولات هانتنجتون، ومن ثَم يرفض إمكانية الحوار، انطلاقًا من حقائق اختلال توازنات القوى الدولية، وسياسات القوى الغربية تجاه الجنوب أو العالم الإسلامي. أو باعتبار أن مبعث هذه السياسات هو الأبعاد الثقافية الحضارية. أي مبعثها هو الصراع الحضاري من جانب الغرب تجاه عالم الإسلام والمسلمين، ومن ثَم فإن الحوار لن يكون إلا سبيلاً جديدًا لفرض الهيمنة الثقافية والحضارية.

واتجاه ثانٍ : يرفض مقولات هانتنجتون؛ إما رفضًا أن تكون العلاقة بين الحضارات _وليس توازن القوى والمصالح_ هي المفسر الأساسي للعلاقات الدولية، انطلاقًا من رؤية واقعية للعلاقات الدولية، ترفض تسييس الحضارات. وإما رفضًا لإلصاق التهمة بالإسلام والحضارة الإسلامية؛ باعتبارها مصادر



للصراع والتصادم. ومن ثَم دفاعًا عن الإسلام والمسلمين الذين يقبلون بالآخر ولا يرفضونه، بل يتعاونون معه ومستعدون للحوار معه. وإما دفاعًا عن التعددية الثقافية، والحوار بين الثقافات والحضارات؛ باعتباره الأساس في العلاقات الدولية، انطلاقًا من رؤية إنسانية عالمية، أو انطلاقًا من رؤية إسلامية تعترف بأهمية الحوار، والتعارف الحضاري بين الأمم والشعوب، وكأساس من أسس الرسالة العالمية للإسلام، وليس مجرد الدفاع والاعتذار عن الإسلام.

والاتجاه الثالث: يقول إن الحوار أو الصراع هما حالتان للعلاقات بين الحضارات. وفي حين يرى رافد من هذا الاتجاه أن الحالة الدولية الراهنة لا تسمح بحوار ثقافات أو حضارات حقيقي؛ نظرًا لاختلال ميزان القوى الدولية؛ بحيث لن يقود الحوار إلا إلى فرض نمط حضاري على الآخر، فإن رافدًا آخر يرى أن الحوار ضروري للخروج بالعالم من أزمته الراهنة، إلا أنه لا بد أن تتوافر له الشروط لكي يحقق أهدافه الحقيقية، وفق ما يقتضيه مفهوم الحوار ذاته؛ أي باعتباره سبيلاً للتفاهم المشترك، وإزالة العوائق أمام العلاقات السليمة.

بعبارة أخرى، ولد اتجاه «حوار الحضارات» من رحم التصدي لمقولة «صدام الحضارات» في الدائرة العربية والإسلامية، ومن زخم الاعتراض على هذه المقولة وتفريعاتها، انطلاقًا من تعريفات متنوعة للحضارة والثقافة، والعلاقة بينهما، وللحوار الفكري والحضاري، وانطلاقًا من أسانيد معرفية وفكرية مختلفة تؤثر على طبيعة الرؤى للعالم، والعلاقة بين مكوناته. بل وتؤثر على الموقف من اتخاذ الحضارات، أو الثقافات؛ وحدات للتحليل السياسي من عدمه.

*والجدير بالملاحظة هنا أنه يمكن القول، إن الحدود بين هذه الاتجاهات الثلاثة الكبرى لا تتطابق بدرجة كبيرة مع الحدود بين المدارس الفكرية الكبرى؛ الليبرالية، والقومية، والإسلامية. فلكل واحدة من هذه المدارس، رؤيتها عن العامل الحضاري

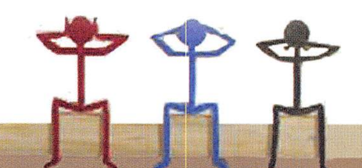


كعامل مفسر للتفاعلات، وعن طبيعة هذه التفاعلات، وجوهرها؛ صراعية أم تعاونية.

وتمثل مواقف هذه الاتجاهات من قضية العلاقة بين الحضارات، امتدادًا لمواقفهم من رؤيتهم عن العولمة، وآثارها ونتائجها بالنسبة لحالة النظام الدولي: نحو مزيد من التعاون والاستقرار (الليبرالية). أم نحو مزيد من الصراع والانقسام (القوميون، اليساريون، الإسلاميون؛ وإن اختلفت روافدهم في بعض التفصيلات). فإذا كانت المدرسة الليبرالية هي الأكثر دفاعًا عن حوار الحضارات في عالم ما بعد الحرب الباردة والعولمة، فهي لا تعترف في نفس الوقت بأن الأبعاد الثقافية تفوق في تأثيرها الأبعاد الإستراتيجية والمصالح القومية، ولكن ترى أن الحوار أداة وعملية ضرورية لتحسين التفاهم العالمي على الساحة الثقافية، كسبيل لتسهيل حل المشكلات والقضايا المصيرية المشتركة.

أما المدرسة القومية والمدرسة اليسارية، فإن اجتمعتا مع الإسلامية في الاعتراف بالمصادر الصراعية في السياسات الغربية التي تحول دون إمكانية حوار حقيقي، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم بالطبع حول وزن تأثير الأبعاد الثقافية الحضارية بالمقارنة بصراعات المصالح أو القوى أو الهياكل. فلا يرى القوميون واليساريون الصراع بسبب الاختلاف الثقافي والحضاري أساسيًّا، ولكنهم يرجعونه إلى المشروعات الاستعمارية والإمبريالية والهيمنة الثقافية والاستعلاء الغربي. في حين يعطي الإسلاميون وزناً كبيراً للبُعد الثقافي في تفسيراتهم وتحليلاتهم، ولكن تختلف الروافد الإسلامية من حيث إمكانية الحوار من عدمه.

> إن الاتفاق على الموقف من إمكانية الحوار أو عدمه بين بعض الاتجاهات وإن تحقق إلا أنه نبع من أسانيد معرفية أو واقعية مختلفة..



فيصل البعض مثلاً، إلى القول؛ إن حوار الحضارات يهدف إلى تنصير المسلمين انطلاقاً من رؤية المؤامرة على الإسلام. ويصل البعض الآخر، إلى القول؛ إن حوار الحضارات هو جهاد العصر بأساليبه الجديدة في مواجهة الصراع الحضاري من جانب الغرب.

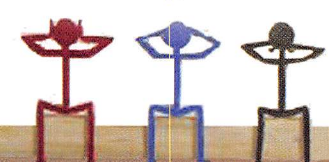
بعبارة أخرى: إن الاتفاق على الموقف من إمكانية الحوار أو عدمه بين بعض الاتجاهات وإن تحقق إلا أنه نبع من أسانيد معرفية أو واقعية مختلفة. ولهذا _وكما سنرى_ عند تناول قضايا الحوار (أم الصراع) أن مداخل المدارس الثلاث تختلف من حيث تحديد القضايا.

*** ما الفارق منذ (١١) سبتمبر:**

ومع أحداث ١١ سبتمبر وبعدها تجدد الجدال حول العلاقة بين الحضارات بقوة وزخم، وتم استدعاء مقولات هانتنجتون وأنصاره، والمقولات المضادة له. ولكن كان السياق أكثر تدهوراً مما كان عليه في بداية التسعينيات؛ حيث أضحى الطرف الإسلامي في موقف المتهم بعد أن كان في موضع مصدر التهديد المحتمل. ففي حين رأى البعض في الهجمات على نيويورك وواشنطن دليلاً على «الغضب المسلم» ضد سيطرة القيم الغربية وضد السياسات الغربية، فإن البعض الآخر اتجه إلى النظر إلى الهجمات في سياق صراع المصالح ودور الشبكات المتشعبة الإرهابية في العلاقات الدولية. ولهذا فإن الجدال حول دور العلاقة بين الأبعاد الثقافية الحضارية، وبين الأبعاد الإستراتيجية في تفسير هذه الأحداث وما تلاها من تطورات في الخطابات الأمريكية والسياسات الأمريكية، قد اكتسب زخماً كبيراً، حيث برز السؤال التالي مجددًا: هل الصراع الحضاري هو الذي يحكم العالم؟ ما هو مصدره؟ وما السبيل لمواجهته؟ وهل يقدر حوار الحضارات على إدارة هذه المرحلة؟

واستمر نفس الجدل وانقسام الاتجاهات حول وزن الأبعاد الثقافية الحضارية مقارنة بغيرها، ولكن اقترن في هذه المرة بسياق زماني ومكاني محدد يرتبط بالسياسة الأمريكية العالمية، وتجاه عالم الإسلام والمسلمين بعد الحادي عشر من سبتمبر. فبالرغم من تزايد الاعتراف بوضوح المفردات الثقافية والحضارية في الخطابات الأمريكية الرسمية وغير الرسمية _سواء الصدامية منها أو الحوارية_ فلقد ظل هناك اتجاه؛ يرفض التفسير الثقافي للعالم على اعتبار أنه لن يقود إلى حل المشكلات؛ نظرًا لصعوبة تنازل الثقافات عن ثوابتها، ومن ثَم لا سبيل إلاّ إلى الحوار بعد توافر شروطه. وفي المقابل اعترف اتجاه آخر؛ أن المرحلة الراهنة من السياسة الأمريكية تكشف بوضوح عن صراع حضاري تجاه الإسلام والمسلمين، يصبح معه الحديث عن الحوار من قبيل الاستسلام. لأن الحوار الذي سيدور، سيكون بشروط الغرب، ووفق مدركاته، ونحو غاياته؛ ألا وهو «الإسلام المُعدّل»، ولأن السياسة الأمريكية توظف الأبعاد الثقافية لخدمة أغراض سياسية بالدرجة الأولى. في حين رأى اتجاه ثالث؛ أن الحوار أو الصراع الفكري ليس إلا أداة أو نوعاً من التكتيك لإدارة مرحلة الأزمة التي تحتدم فيها الصراعات حول المصالح. وارتبط بهذا الانقسام انقسام آخر جدّد ما سبق وثار حول أطروحات هانتنجتون؛ ألا وهو الانقسام حول إمكانيات الحوار في مقابل الضغوط نحو الصراع في العلاقات بين الولايات المتحدة وعالم الإسلام والمسلمين. ولكن الحوار في ماذا؟ أو الصراع على ماذا؟ وكيف؟!

حقيقة، تتعدد القضايا التي يتم تناولها بالتحليل المقارن بين المنظورات المختلفة؛ وعلى رأسها تأتي قضايا العنف، وحقوق الإنسان بين الخصوصية والعالمية. ولكن ظلت أدبيات العلاقة بين الحضارات تفتقد الاهتمام بأجندة حوار الحضارات المتنازع على مصداقيته وجدواه. كما تظل الأنباء تتواتر بلا انقطاع



عن مؤتمرات وندوات ولقاءات ومناظرات، على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، وعلى الأصعدة الرسمية والمدنية والشعبية، على نحو يثير التساؤل: ما مدى وجود إستراتيجية كبرى لتعظيم نتائج هذه الملتقيات؟

أم أن هذه الملتقيات أضحت غاية في حد ذاتها، ومجرد استجابة _غير منظمة_ لحملة العدوان المتصاعدة ضد العرب والمسلمين وضد المرجعية الإسلامية من ناحية؛ ولحالة التأزم العالمي التي تهدم الأمن والاستقرار من ناحية أخرى.

والجدير بالملاحظة أنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، قفز الاهتمام بالقضايا والآليات قفزة واضحة، حيث فرضت طبيعة تحديات هذه المرحلة، على المؤسسات الرسمية _بصفة خاصة_ الانتقال بدرجة أكبر إلى هذه الجوانب العملية. فلقد أضحت الضغوط نحو ضرورات ومتطلبات الحوار أكثر وضوحًا، ليس في نظر الحكومات فقط، ولكن بالنسبة _أيضًا_ لبعض الروافد الفكرية التي كانت ترفضه أو تتحفظ عليه.

*** ويمكن التمييز بين ثلاثة اتجاهات:**

الاتجاه الليبرالي الذي تتلخص مقولاته كالآتي:

١- العولمة تؤثر على شكل ومضمون واتجاهات الحوار، حيث إن الديمقراطية، والتعددية، واحترام حقوق الإنسان، هي من صميم موضوعاته.

٢- الحوار بين حضارتين غير متكافئتين ماديًا ممكن بل وضروري؛ لأنه سبيل خروج الحضارة المتخلفة من دائرة التخلف والدخول في عالم التقدم الإنساني، وذلك من خلال اقتباس عديد من قيم ومؤسسات وإنجازات الحضارة الأوروبية، ولن يمنع من هذا الاقتباس كل



المناظرات في العالم العربي والإسلامي باسم الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية؛ ذلك لأن قيم حقوق الإنسان أصبحت تعبر عن حضارة عالمية إنسانية.

٣- في ظل إشكاليات التعريف بالذوات الحضارية، فإن هدف الحوار هو التوصل إلى الاتفاق على صياغة مجموعة متناسقة من القيم العالمية، التي تأخذ في اعتبارها التنوع الإنساني الخلاق.

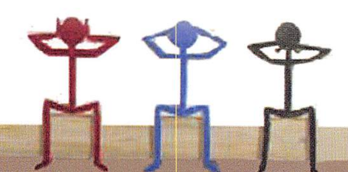
٤- تتسع أجندة حوار الحضارات، لتشمل إشكاليات معرفية، ومشكلات عالمية، وليصبح مجال العلاقة بين الإسلام والغرب، هو أحد مجالاتها وليس الوحيد.

٥- يجب أن تساهم الحضارة العربية الإسلامية في صياغة الحلول للمشكلات العالمية، وطرح تصوراتها القيمية الإنسانية.

أما الاتجاه اليساري فهو يقترب من الموضوع اقترابًا آخر مفاده الآتي:

١- رفض أن يكون العالم وكأنه في حالة صراع بين الأفكار والثقافات والمواقف؛ لأن حالة توازن القوى في ظل آليات العولمة المادية والثقافية، توفر للنظام الرأسمالي هيمنة مفرطة، وهو الأمر الذي يجعل الثقافي والفكري مجرد أداة، وليس واجهة للتعبير عن الواقع. ومن ثَم في ظل اختلال التوازن في القوى، ليس هناك معنى للحوار على الصعيد الفكري والثقافي؛ لأن النظام ذا القطب الواحد لا يجعل للحوار إلا قيمة رمزية.

٢- رفض النقاش على مستوى عالمي، ولكن حول جدول أعمال مختلف، ليس مجرد مضمون الرسائل الأمريكية أو الأوروبية حول أوضاعنا



الثقافية، ولكن يجب طرح جدول الأعمال في إطار حركة مقاومة أمركة العالم. وذلك حول نقاط، مثل: معايير العالمية المزدوجة، ورفض لأولوية حوار ثقافي وسياسي مع الشمال دون البدء بحوار جنوب لجنوب. التصدي لنزعات العنصرية والإقصاء في قضايا اجتماعية ومحلية، دون تسمية أسبابها الحقيقية الصادرة عن النظام العالمي. الحوار الداخلي حول الحقوق الجماعية للشعوب في تقرير مصيرها وحقوقها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وموازنتها الضرورية مع حقوق الإنسان المدنية. التفكير في برامج هجوم مضاد، ضد العنصرية «الشمالية».

والاتجاه الثالث يمثله اقتراب المؤسسات الإسلامية الرسمية، وكذلك تيار من المفكرين الإسلاميين:

على اختلاف مواقفهم رفضاً أو قبولاً للحوار _بالنظر إلى اقترابهم من القضايا حول موضع الحوار أو موضع الصراع_ نلحظ أن بؤرة الاهتمام هي صورة الإسلام، والشبهات التي يتعرض لها، ومن ثَم استحضارهم ما يتصل بطبيعة الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا وقيمًا، وما يتصل بخصائص الحضارة الإسلامية، مقارنةً بنظيراتها الغربية، وما يتصل بالممارسات الإسلامية في التاريخ بالمقارنة مع نظائرها الغربية، تجاه أصحاب الديانات والثقافات الأخرى.

بعبارة أخرى: يتصدى هذا الاتجاه للأبعاد الثقافية الحضارية المباشرة، وفي قلبها الموقف من الإسلام. وهي الأبعاد التي تطرح السؤال التالي: هل هناك لدى الغرب أزمة معرفة بالإسلام يترتب عليها هذا النيل من الإسلام؟ أم هي نيات مبيتة لإلصاق التهمة بثقافته وحضارته وبأهله بزعم أنهم _أي المسلمين_ يكرهون الغرب لاختلافه في الدين والحضارة؟ أم أن الحقيقة تقع في منطقة ثالثة،



وهي عداء الغرب وعدوانيته على الشرق، ثم على الإسلام تحديداً، (عقدة الإرث التاريخي المتبادل).

وهكذا يمكن إجمال تلخيص الآراء حول جدوى الحوار من عدمه بين مجموعات ثلاث:

مجموعة المشككين في جدوى الحوار، ونقطة انطلاقهم أن موضوع حوار الحضارات برمته يعتبر موضوعاً مهرجانيّاً بدأ الاحتفاء به بصورة مفاجئة منذ التسعينيات «كرد فعل» على نظرية صراع الحضارات لهانتنجتون. وأنه _من ثَم_ لا يعتبر موضوعاً أصيلاً ذا جدوى حقيقية. ويرى هذا الفريق المشكك والرافض أن حوار الحضارات ما هو إلا واجهة تخفي وراءها صراع المصالح. ومن هنا هم غير متفائلين حتى بالدعوة إلى الحوار والتفاهم والقبول بالتنوع والتي تأتي من بعض مفكري الغرب. وذلك أن دعوة كهذه لا يمكن أن تثمر _في رأيهم_ على المستوى الرسمي، لأن هوى الإدارات الرسمية هو مع الصراع الذي _من خلاله_ تفرض مصالحها وفقاً لمنطق القوة وليس الحوار. ويؤكد أصحاب هذا الفريق أن مجرد الدعوة إلى الحوار التي تأتي من الغرب لا يمكن أن تحوز بثقة الشرق، وذلك في ظل السياسات الغربية التي تساند الظلم الواقع على الفلسطينيين والعراقيين، إما بالمشاركة الفعلية أو بالصمت. فهذا _عندهم_ مناخ يؤدي إلى الصراع ولا يساعد على الحوار. أما الفريق المؤيد للحوار والمؤمن بجدواه، فينطلق من مسلمة أن العولمة حقيقة قائمة، وأن هذا الواقع يفرض التعايش وليس الصراع .

> ويرتبط بالجدال حول جدوى الحوار من عدمه الجدال حول قضيتين بالغتي الأهمية وهما نظرية المؤامرة والنقد الذاتي



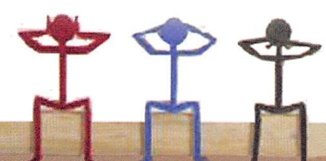
هذا وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن رصد موقف الفريق الثالث بين فريقي المشككين والمدافعين وهو الذي يرى أن الطرح العربي الإسلامي لموضوع حوار الحضارات هو طرح قديم وهو الطرح الأصيل؛ لأنه يبدأ من المصدر الأساسي وهو القرآن والسنة، وهو أساس من الأسس الإسلامية الأولى في التعامل مع الشعوب الأخرى انطلاقًا من الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية. وفي المقابل فإن اليهودية ترفض أصلاً أي طرح للحوار، سواء على مستوى الأديان أو الحضارات. كما أن الطرح الغربي الراهن ليس إلا طرحاً سياسيّاً لتحقيق أهداف سياسية. ومن ثَم فإن الطرح الإسلامي الراهن لحوار الحضارات ليس إلا رد فعل، بل طرح مفروض فرضاً من الغرب على الشرق عموماً وعلى العالم الإسلامي والعربي خصوصاً. وهذا الطرح الغربي _تسييس الحضارات_ هو أسوأ ما يحدث للحضارات وللعلاقات بينها، حيث يجعلها موضوعاً وسبباً للحرب والصراع، في حين أن الطرح الأصيل لحوار الحضارات هو الطرح الإسلامي منذ بدايته مع الرسالة. ولهذا فيجب _وفق هذا الفريق الثالث_ الوعي للعلاقة بين السياسي والثقافي، والتي تتنامى في الإستراتيجية الأمريكية بصفة خاصة والغربية بصفة عامة تجاه العالم العربي والإسلامي في المرحلة الراهنة من تطور النظام الدولي.

ويرتبط بالجدال حول جدوى الحوار من عدمه، الجدال حول قضيتين بالغتي الأهمية وهما نظرية المؤامرة والنقد الذاتي. وعن نظرية المؤامرة يرى البعض _وهم غالباً المشككون في جدوى الحوار_ أن التشبث بها أمر هام. فهي تفتح الأعين على ما حيك لنا في الماضي، ومن ثَم تكون عوناً على إدراك ما يحاك لنا في الحاضر، وتكون مؤشراً على ما سيحاك لنا في المستقبل. أما البعض الآخر: فيرفضون تماماً تعليق كل إخفاقاتنا على شماعة نظرية المؤامرة، وأكدوا على أن تخلفنا وتبعيتنا ترجع لعدم السير في طريق العقل والعلم والحرية والعدالة التي سار فيها الغرب فتقدم بعد

طول تخلف. ويستطرد أصحاب هذا الفريق ليؤكدوا أن الإيمان بنظرية المؤامرة هذه يواكبه عادة رغبة مرضية في تنزيه الذات. فالتأكيد دوماً على أننا كنا حضارة تعرف الحوار وتنفتح على الآخر فيه قدر غير قليل من التجاوز والمبالغة، فالشرق مارس هو أيضاً المد والسيطرة والهيمنة والصراع عندما كان له اليد العليا.

فموضوع حوار الحضارات عند هذا الفريق هو موضوع حُمل بأكثر مما يحتمل، فالأمر كله لا يعدو على مدار التاريخ أن يكون صراعاً على المصالح. يأخذ في كل مرحلة تاريخية سمة محددة؛ اقتصادية أو ثقافية أو عسكرية، ولكن المستمر هو أنه صراع ينجح فيه الأقوى في حين يخسر الضعيف، بغض النظر عمن هو القوي ومن هو الضعيف، وبغض النظر عن موضوع الصراع وأدواته؛ العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية، وإن كان من الواضح والجلي الآن أن الأبعاد والأدوات الثقافية قد حققت قفزة إلى الأمام لاعتبارات عديدة، بالمقارنة بما كانت عليه من قبل.

وفي مقابل نظرية المؤامرة تظهر نظرية النقد الذاتي التي تستند إلى تأصيل ظاهرة الحوار الحضاري بالرجوع إلى الجذور الفكرية للخطابات العربية المتنوعة في عصر النهضة، وإلى إشكاليات وقضايا التفاعل بين التيارات الإسلامية والليبرالية واليسارية العربية ومواقفها من الغرب. وتقوم هذه النظرية على تحديد أسس هذه التيارات الفكرية عند بدايتها ومتابعة تطورها وتقويمه. وإذا كانت منطلقات وقواعد هذا التقويم تتعدد إلا أن طرح الأستاذ/ السيد ياسين قد جعل منطلق تقويمه هو موقف هذه التيارات من قضية الحداثة، وتفسير أسباب فشل المنطقة العربية في إحداث التغيير المطلوب، بأنه فشل في تقبل نموذج الحداثة. ولهذا اعتبر أن من أهم شروط الحوار الحضاري الناجح هو نقد العلمانية وتقديم رؤية نقدية للحداثة من ناحية، ونقد التاريخ والفكر الإسلامي من ناحية أخرى.



فهذا النقد المزدوج الأبعاد هو السبيل إلى اكتشاف منطقة القيم المشتركة العالمية بين الحضارات».

ومما لا شك فيه أنه إذا كانت نظرية المؤامرة تواجه حججاً ومبررات ناقدة أو رافضة لمنطلقاتها في رفض حوار الحضارات، فإن نظرية النقد الذاتي ذات التوجه الليبرالي تثير بدورها حججاً ومبررات ناقدة لمنطلقاتها نحو تحديد أهداف الحوار وغاياته وآلياته. ومن ثَم تثور الأسئلة التالية: هل ننقد أنفسنا قرباً أم بعداً عن الحداثة أم عن نموذجنا الحضاري؟ وهل الحوار ـ في نظر التيار الليبرالي ـ هو سبيل آخر للنقل عن الغرب من جديد؟ وهل نحتاج لنقد الذات من منطلقات ليبرالية فقط أم نحتاج أيضاً للدفاع عن المرجعية الإسلامية التي أضحت تتعرض لهجوم متسع النطاق؟ ومن هنا فضلاً عن الحاجة إلى نقد الذات فنحن أيضاً في حاجة إلى اجتهاد فكري معاصر قوي وفاعل؛ لأن الإسلام وإن كان يتضمن تنظيرات ورؤى تأصيلية حول وحدة الإنسانية والاستخلاف والعمران والتوازن في الكون وغيرها، إلا أن الممارسات في تاريخ المسلمين وواقع المسلمين، تثير أكثر من علامة استفهام حول الفجوة بين الأصل وبين الواقع مروراً بخبرة التاريخ. ناهيك عن الحاجة للدفاع عن الأصول ذاتها وضد ما تواجهه من هجوم عليها وليس على المسلمين فقط.

❊ وماذا بعد؟ ملامح رؤية تقويمية:

على ضوء العرض النقدي السابق، يمكنني الآن التوقف عند بعض ملامح رؤيتي عن «حوار الحضارات» وتتلخص هذه الملامح في مجموعتين: إحداهما نظرية وتدور حول عناصر التأصيل النظري لهذا المجال. والثانية حركية تدور حول إمكانيات وجود تيار رئيس فكري عربي حول حوار الحضارات في المرحلة الراهنة المتأزمة من التاريخ العربي والإسلامي.



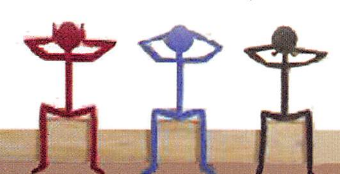
١ - عناصر التأصيل النظري:

إن الانتماء للمجال البحثي في حوار الحضارات أكثر من الانتماء إلى المجال الحركي فيه، يدفع للاهتمام بهذه العناصر، وباعتبار هذا المجال ـ كما سبق التوضيح ـ من أحدث مجالات دراسة العلاقات الدولية والتي يثير التأليف والجدال حولها اهتمامًا راهنًا يناظر ما سبق، وحظي به تجدد الاهتمام بالاقتصاد السياسي الدولي في بداية السبعينيات. وتتلخص عناصر هذا التأصيل المطلوب في البندين التاليين:

أ- حول إشكالية حوار أم صراع. (المبررات والدوافع: العلاقة بين الأبعاد الثقافية والاستراتيجية).

يمثل **«حوار الحضارات أو صراعها» مجالاً أساسيًّا من مجالات دراسة العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ويرجع ذلك إلى بروز الأبعاد الثقافية الحضارية للعلاقات الدولية الراهنة على عدة مستويات؛ المفسر لهذه العلاقات والمحرك لها، وقضايا العلاقات، وأدوات العلاقات، وأنماط التفاعلات، وهكذا...**، ويرجع ذلك بالطبع إلى العديد من الأسباب على رأسها انتهاء الصراع الأيديولوجي، وصعود دور الأديان، تهاوي الحدود بين الداخلي والخارجي على نحو أدى إلى درجة كبيرة من اجتياح الخارجي للداخلي جراء الثورة في الاتصالات والمعلومات، وبعد أن تحققت الهيمنة الغربية السياسية والعسكرية ثم الاقتصادية، فلم يتبق إلا اكتمال الهيمنة على الصعيد الثقافي أيضًا.

ولذا فلا عجب أن يلحظ المراقب والباحث والأكاديمي، أن ساحة خطاب العولمة قد شهدت صعود الاهتمام بالحضارة والثقافة والدين بعد أن صعدت الاهتمامات وسادت في مراحل سابقة (الحرب الباردة والانفراج) بالعوامل الإستراتيجية العسكرية، ثم الاقتصادية السياسية على التوالي. كل هذا يعني أن التفاعلات لم تَعُد حول السياسة والاقتصاد فقط، ولكن الحضارة والدين في قلبها.



ولهذا يجب النظر إلى مغزى أطروحة هانتنجتون من حيث درجة ما تمثله من تغيير في منظور دراسة العلاقات الدولية، وانتقاله إلى مرحلة جديدة بعد مرحلة الواقعية التقليدية، ثم الهيكلية، على اعتبار أن منظور هانتنجتون منظور واقعي وهو (الصراع)، ولكن من منطلقات مغايرة هي (الحضارات).

كما يجب النظر من ناحية أخرى إلى أطروحة هانتنجتون باعتبارها تجسيداً للعلاقة بين التطور في التنظير والرؤى وبين خدمة المصالح الإستراتيجية الكبرى. حيث إن طرح هانتنجتون لم يقدم طرحاً نظريّاً جديداً مجرداً، ولكنه تعبير عن آلية هجومية جديدة للحضارة الغربية، وهي آلية ذات لباس ثقافي حضاري، وهذه الآلية ليست مستحدثة، ولكن ذات جذور فكرية وسياسية سابقة، ولكن لم تكن بنفس درجة العمق والوضوح.

وعلى الصعيد المقابل فإن المتحدثين عن «حوار الحضارات» يمثلون بدورهم منظوراً مثاليّاً في مرحلة جديدة، بعد مرحلة المثالية التقليدية (الأمن الجماعي)، ثم المثالية الجديدة (الاعتماد المتبادل)، وهي مرحلة المجتمعية والعالمية والحوار. وهؤلاء بدورهم يمثلون استجابات ذات دوافع متنوعة ترتهن بموقفهم على سلم القوة الدولية.

بعبارة أخرى فإنني أنظر إلى صعود مفهوم حوار الحضارات أو صراعها من خلال تحديد وضعه في السياق العام للدراسات الدولية الغربية، ومن خلال توظيفه في الإستراتيجيات الكلية، أي باعتباره أداة من أدوات إدارة السياسات الدولية الراهنة، سواءً كان انطلاقاً من الدائرة الغربية، أو استجابة من الدائرة العربية. ومن هنا تكمن خطورة نسبية في ظل خلل توازن القوى المادية.

ب- الحوار ليس إلا شكلاً من أشكال العلاقات بين الحضارات. ولذا فإنني أنقد ذلك الترحيب الشائع انطلاقاً من دوافع دفاعية اعتذارية بوصف

العلاقات الراهنة بأنها حوار، أو يجب أن تتجه إلى حوار من ناحية. كما أنقد من ناحية أخرى التمترس وراء تشخيص هذه الحالة الراهنة أيضًا، وانطلاقاً من مبررات أيديولوجية بأنها أسيرة الصراع الدائم والحتمي.

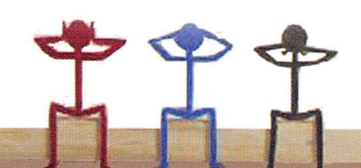
فإذا كانت أطروحة الصراع قد فجّرها هانتنجتون، وإذا كانت أطروحة الحوار قد بدت كالأطروحة الاعتراضية إلا أن الانشغال على الساحة العربية بهذين الطرحين على هذا النحو الاستقطابي الثنائي الذي جرى (حوار أم صراع) يستحق الانتقاد المعرفي والمنهجي، بل والسياسي أيضاً.

فمن ناحية:

إذا كانت أطروحة هانتنجتون تكرس الصراع كقانون تاريخي مطلق، اتساقاً مع منطلقات المدرسة الواقعية، وانطلاقاً من ناحية أخرى مع إلباس صراع المصالح والقوى لباساً دينيّاً ثقافيّاً حضاريّاً، تحت دوافع ومبررات إستراتيجية (كما سبق وأوضحنا)، إلا أن الصراع _وفق رؤية إسلامية_ والذي يعبر عنه مفهوم التدافع يحمل مضامين أخرى. فهو سنة من سنن الاجتماع البشري، ولا يعني القضاء على الآخر، أو تأكيد هيمنة قوم على قوم، أو ثقافة على ثقافة، ولا يعني _وهو الأهم_ أن الصراع يتولد بين الأقوام والملل المختلفة لمجرد الاختلاف الثقافي والحضاري. ولذا يرتبط مفهوم التدافع بعالمية الإسلام في مقابل عولمة النموذج الغربي؛ لأن التدافع حالة من عدة حالات وليس قانوناً تاريخيّاً، ولأن الحرب ليست حتماً تخرجنا من الفوضى إلى حالة أفضل في كل الحالات.

*** ولكن من ناحية أخرى:**

فإن حوار الحضارات باعتباره نمطًا من أنماط أخرى اتخذتها العلاقات بين الحضارات على مدار تطورها التاريخي، له سياق دولي يبرزه أو يواريه. كما أن له



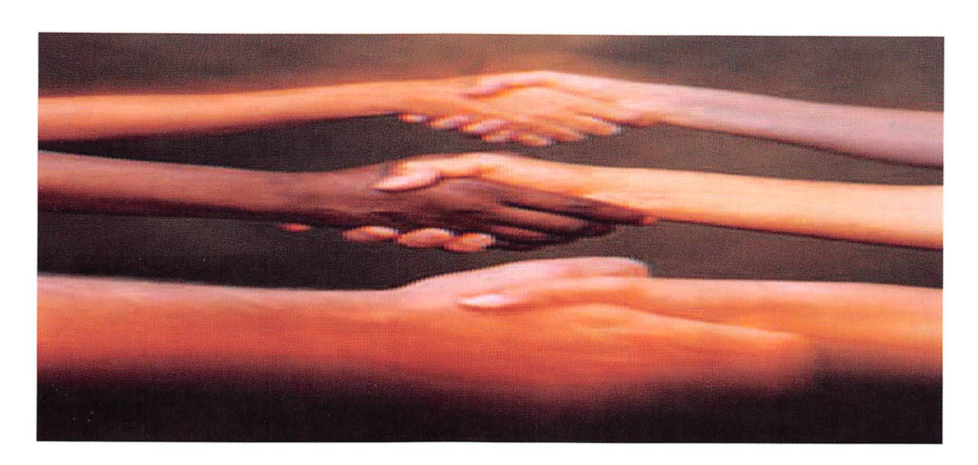
شروطًا لازمة التحقيق وآليات لإدارته وصولاً لأهدافه.

وإذا كان الحوار قد برز في الخطاب والحركة خلال العقد الأخير من القرن العشرين (أي قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١)، ومع بداية القرن الحادي والعشرين فذلك باعتباره أداة من أدوات إدارة السياسات الخارجية لمراحل التأزم الدولي، سواء من جانب الفواعل القوية أو الضعيفة. وذلك في سياق دولي يفرز محدداته النابعة من طبيعة المرحلة الانتقالية من هيكل النظام الدولي، ومن حالة النظام الدولي الراهن المتأزمة تحت تداعيات كل من تصفية القطبية الثنائية والحادي عشر من سبتمبر، وانعكاساتهما على الأبعاد الثقافية الحضارية في النظام الدولي.

كما أن الحوار، لا يمكن أن يكون على صعيد النمط الرسمي فقط، وفي مراحل التأزم فقط، وللتوظيف السياسي له، ولكنه عملية ممتدة عبر التاريخ صعودًا أو هبوطًا من حيث الأهمية، ويمتد عبر نطاقات متنوعة من التفاعل البشري. ومن ثَم فهو قد يترادف على هذا النحو مع مصطلحات أخرى: التثاقف، والتفاعل الثقافي. ولكنها أمور مختلفة، فالحوار معه جانب إداري واعٍ باعتباره أداة أو آلية من آليات إدارة العلاقات الدولية في ظل تأزم نظام العولمة على العكس من الأخيرين فهما ممتدان ومستمران في جميع المراحل. كما أن الحوار ذاته قد برز أو تراجع في مراحل من التاريخ في ظل سياقات سياسية واقتصادية عالمية متنوعة.

> إن نقطة الانطلاق الحقيقية لأي حوار فعلي وبناء بين الحضارات تتمثل في مبدأ الاحترام المتبادل، والتسامح والوعي بالتعداد الهائل للحضارات في عالمنا، وخطورة انفراد إحداها بإدارة العالم، وأكد التقرير بالإضافة إلى إعلائه من شأن التنوع الثقافي على أن مبدأ التسامح بين البشر هو أساس قيام عملية الحوار وبناء الثقة بين البشر.





(٢)حتى لا يكون الحوار الحضاري كمن يصافح الهواء:

(١٦) «بعد قصف الأفكار الذي أحدثته نظريات»٢٦» فوكوياما وهينتجتون «٢٧»وفؤاد عجمي «٢٨»وبرنارد لويس، وردود الأفعال الغاضبة حوله تبنت الجمعية العامة قراراً بأن تكون سنة ٢٠٠١ سنة للحوار بين الحضارات، وكلف»٢٩» كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة _سابقاً_ مجموعة من عشرين شخصية عالمية بارزة لدراسة أوجه الحوار بين الحضارات، صبتها في تقرير بعنوان (عبور الانقسام) أو Crossing the Divide شارك فيه بعض المفكرين العرب. وكان هدف هذا التقرير _وبالتالي الحوار_ تخطي الفوارق السياسية والدينية والاثنية والثقافية بين الشعوب، بالتركيز على عناصر التشابه بينها. يعترف التقرير بتقصيد الأجيال الحالية عندما حمّلت الأجيال القادمة موروث الخوف من الاختلاف الحضاري، ولذا فعلى الأجيال الحالية التكفير عن هذه الخطيئة بالعبور إلى الناحية الأخرى من الحاجز.

ووجهة النظر الرئيسة في هذا التقرير **أن نقطة الانطلاق الحقيقية لأي حوار فعلي وبنّاء بين الحضارات تتمثل في مبدأ الاحترام المتبادل، والتسامح والوعي**



بالتعداد الهائل للحضارات في عالمنا، وخطورة انفراد إحداها بإدارة العالم، وأكد التقرير بالإضافة إلى إعلائه من شأن التنوع الثقافي على أن مبدأ التسامح بين البشر، هو أساس قيام عملية الحوار وبناء الثقة بين البشر.

هل نقول إنه ومنذ برج بابل قد مثّل الحوار بين الثقافات المختلفة حلماً بشريّاً مجهضاً، وإن الدور الذي قامت به مدرسة الإسكندرية الفلسفية ظل استثناءً لم يتكرر؟!

الدعوة إلى الحوار الثقافي لا بد أن تستند إلى أساس أخلاقي وهو الرغبة في الاعتراف بوجود الآخر وحقه في البقاء.

كما أنه ليس هناك حوار معلق في الهواء، يبقى عاكساً لموازين القوة الحضارية، وهي غير متكافئة أصلاً، ولذا يفرض الطرف الآخر شروط وتوقيت، ولغة، وبنود الحوار، خذ مثلاً الاضطراب الهائل حول معنى (الإرهاب) والالتباس الناشب بينه وبين مفهوم (المقاومة) ولذا فإن الجانب المهيمن في الحوار قد يفرض شروطه مقدَّماً، طالباً من الآخرين الإذعان لتعريفه ومصطلحاته.

ومن ثَم فإن قبوله الآن كنمط من أنماط التفاعل الحضاري يجب ألا يعني موقفاً اعتذاريّاً دفاعيّاً في مواجهة اتهامات الغرب أو في مواجهة سياساتهم الصراعية، حفاظاً على البقاء أو درءًا للأخطار، واستعاضةً عن الضعف المادي، ولكن يجب أن يكون الحوار انطلاقاً من ذاتية ثوابت الأمة، ومن قضاياها وتعبيراً عن مجرد آلية بين آليات أخرى، وليس غاية. وكذلك شريطة أن يكون مقروناً في المرحلة الراهنة بوعي الأبعاد الصراعية في دواعي الطرف الآخر، حتى ولو كانت مغلفة بخطابات الحوار، ومقروناً بوعي حقيقة أثر توازنات القوى على تحديد قضايا الحوار، وغاياته، ونتائجه. وشريطة أن تتوافر له شروط الحوار السوي والفاعل، وعلى رأسها الحوار البيني السابق على المستوى الرسمي والفكري،



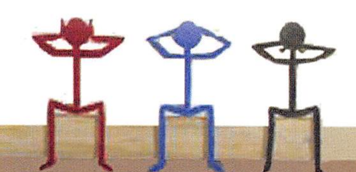
وأخيراً شريطة ألا تنتقل ضغوط الواقع على الرسميين إلى النخب والمفكرين. فهم مطالبون بالحوار؛ لأنه جهاد العصر وليس اعتذار العصر.

إن هذا التحديد يفرض اختيار الطرف الآخر من الحوار فيستبعد من يستبعد ويختار من يختار.

ويرى البعض أن الصراع القائم هو بين العالمية الإنسانية والقومية الإنسانية، بينما يذهب فريق آخر إلى أن مستقبل حوار الحضارات سيتوقف على الصراع القائم بين تحالف المثقفين العرب والمسلمين ونظرائهم النقديين في أوروبا وباقي دول العالم لإقامة حلف ثقافي ضد الإمبراطورية الأمريكية الجديدة. بينما يرى البعض الثالث أن الصراع بين مفهوم (صراع الحضارات) الذي يتبناه الغرب ونموذج (حوار الثقافات) الذي يتبناه الشرق القديم، وكان موجوداً لدينا حتى ظهور الحضارة العربية الإسلامية، وعرفته اليابان، والصين القديم، وفارس، وحضارات ما بين النهرين وكنعان ومصر القديمة، وهو النموذج الذي ازدهر وتألق في ذرا الحضارة العربية الإسلامية (حسن حنفي)، وهو التأكيد على أن حوار الحضارات، وحوار الثقافات الآن، لا يعني بالضرورة لا غالب ولا مغلوب».

«ويذهب فريق رابع إلى أن الصراع اليوم ليس بين معسكرات سياسية ولا بين مناطق جغرافية، وليس بين ملائكة الخير وشياطين الشر، وليس حتى صراعاً بين داخل وخارج، **وإنما بين ثقافتين تتجسدان في الموطن الواحد، بل وعند الفرد الواحد هما ثقافة الحداثة وثقافة التقليد**، ذلك أن مواجهة الآخر غدت اليوم -أيضاً- مواجهة مع الذات.

> يرى الإسلام أن الاختلاف بين البشر، وتدافعهم هو أحد موجبات عدم فساد العالم {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض}[البقرة:٢٥١]



سبق للإسلام أن قرر الاختلاف كحقيقة إنسانية طبيعية، حيث خلق الله الناس مختلفين عرقيّاً ولغويّاً، وإن كانوا في الأساس (أمة واحدة)، هي أمة الإنسانية الرحبة، وإن هذا التباين لا يلغي آصرة الوحدة الإنسانية، ولذا يشكل احترام ثقافة الآخر، قاعدة أخلاقية إسلامية.

بل يرى الإسلام أن الاختلاف بين البشر وتدافعهم، هو أحد موجبات عدم فساد العالم، قال تعالى:{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض} [البقرة:٢٥١].

صحيح أن الحوار لا يقوم إلا مع الآخر المختلف، لكننا نقصد غياب حوار داخلي (حوار عربي عربي، أو حوار إسلامي إسلامي، أو حوار بين الحاكم والمحكوم).

(٣) كيف السبيل لحوار متوازن معهم ؟!

يسعى الشرق في حواره إلى تصحيح الصورة المغلوطة التي كونها الغرب عنه، أما الغرب _ الأوروبي بالأخص_ فيسعى إلى تصحيح الصورة السلبية المتكونة عنه في الذهن الإسلامي، وإيجاد حلول لمشكلاته مع العالم الإسلامي بقصد إحلال السلام بينهما.

وبعبارة أخرى فإن ثقافة الحوار _لدينا_ يجب أن تنطلق من مفهوم العدالة كغاية وإلا سيكون ثمن السلام هو الاستسلام، أو الاعتذار أو الدفاع عن براءة الذات الحضارية.

ننبه إلى أن حركة الاحتجاج ضد العولمة، وضد غزو العراق، وضد العدوان الصهيوني على الفلسطينيين، وآخرها المعركة ضد الجدار العازل؛ تمثل بالفعل صورة من صور الحوار الثقافي بين مختلف الأقطار والقوى السياسية، خصوصاً

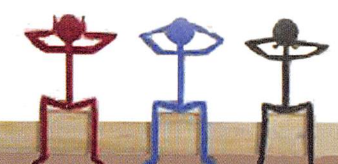


وأنها تتم في الشوارع والميادين، أي تلتقط زمام المبادرة العملية، كما تم في التظاهرات المعادية لغزو العراق وشلمت ٦٠٠٠ مدينة في ٧٠ دولة، ومن هنا فأهمية ألا يدور الحوار الثقافي بين الحكومات والدول على المستوى الرسمي فحسب، بل هناك دور للحوار الشعبي، والحوار بين الجمعيات والنقابات والاتحادات والمؤسسات الدينية. ومن الشروط السابقة لنجاح الحوار الحضاري، احترام حق تقرير المصير، وعدم الاعتقاد بتفوق ثقافة على ثقافة، لأن أحكام القيم لا تصدق على الثقافات، وهناك شرط وهو الكف عن تزييف ثقافات الأطراف الأخرى وتاريخها، أو تحريفها، وهناك الهدف الكبير لهذا الحوار وهو وضع برنامج عمل مشترك، تسترد به الإنسانية وجهها البريء، وتتحقق فيه كرامة المستبعدين والمهمشين والمطرودين من جنة السيد الأبيض! والمهم أن يقوم على قاعدة التساوي بين الأطراف.

وحتى لا يتحول الحوار بين الطرفين إلى حوار بين صم، أو تبقى يدنا ممدودة في الهواء تلوح وحدها وهي معلقة في فراغ، يجب أن نعرف أن الحوار الثقافي أكثر من كونه عملية تجميل للماضي العنيف أو الظالم أو العدواني، هو في الأساس ممارسة تجاه المستقبل. وبقدر ما يتخلى الطرف الأقوى عن غروره، ويتخلى الطرف الأضعف عن شعوره بالدونية؛ بقدر ما نؤمّن للحوار نجاحه من موقع (شركاء وأنداد لا أعداء)، ولسان الحال يقول: الوطنية والإنسانية واحد في نظري، فأنا وطني لأني إنسان.

والدعوة المشتركة لرئيس الوزراء البريطاني (توني بلير) حول إطلاق حوار الحضارات من أجل مكافحة الإرهاب لا ينبغي أن تمر دون تعليق.

لقد بح صوت مثقفي العالم الثالث من أجل إحلال حوار الحضارات محل صدامها، ذلك الحوار الذي ينطلق من موقف الاحترام الكامل لتنوع الثقافات، وحق الحضارات المختلفة في التعايش والتفاعل، والتكافؤ بين ثقافات المجتمعات البشرية.



تأتي دعوة «٣٠»بلير لتوظيف هذا المسعى الإنساني من أجل تهديد ظرفي أصاب البعض، لكنه ينطوي على التسليم بلصق الإرهاب بالإسلام، وهو ما جسدته التهديدات أو العمليات الإرهابية ضد البلدين والتي نفذها أفراد مسلمون، بما يعني أن هذه الدعوة في الحقيقة تفترض أن الثقافة الإسلامية وحدها هي التي تهدد الثقافة والمجتمعات الغربية.

سبق أن أوضحنا، وأوضح _أيضاً_ العديد من الكتاب والمفكرين المسلمين موقف الإسلام من الصراع أو التصادم بين الحضارات، حيث يحكم العلاقات بينها مبدأ (توازن المصالح) وليس (توازن القوى) بين الحضارات والأمم والشعوب، وهو عدل متوازن، كما أن الرؤية الإسلامية تستخدم مصطلح (التدافع) لا (الصراع) لوصف طبيعة العلاقات بين الحضارات المتباينة. وإن كنا لا نسهب في هذه العجالة الحقل الدلالي لمفهوم (التدافع) في حديث أخير لأحد منظري»النيوليبرالية الفيكتورية» التي توجه أداء الإدارة الأمريكية المعبرة عن أجندة المصالح الرأسمالية والاحتكارات الضخمة؛ حدد فرنسيس فوكوياما _القطب الفكري الأمريكي البارز_ صياغته للصراع بين الحضارات بقوله بالحرف: «إن (الجهاد Giladism) هو التحدي الأساسي لليبرالية، لأنه نوع مغاير من «٣١»الأيديولوجيا، وربما الأشرس، لكن أظن في النهاية أنه لم يكتب له النجاح، سياسيّاً على الأقل».

(٤) نحو حوار حضاري وفعال

أ. التكافؤ (توازن القوى):

وهو الشرط الأساسي لخوض حوار حضاري تتوازن فيه القوى. إنما هل يجري حوار متكافئ بين الحضارات؟

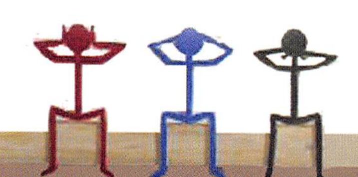
الإجابة بالطبع لا، لأن اختلاف القوى العلمية والتقنية في مصلحة الغرب، والتي تستبطن قيم الحضارات الغربية المتمثلة في العقلانية والفردية والحداثة والمادية، والوضعية (لا الميتافيزيقية)، على العكس في بقية العالم، وإن كان يوجد هناك من يعتقد بأننا على أعتاب بزوغ نظرية جديدة هي التعايش بين الثقافات باعتبارنا نعيش حضارة واحدة في الواقع، وكون قيم حقوق الإنسان في عالمنا الراهن تعبر عن حضارة عالمية واحدة.

لكي يبقى هذا الرأي مقيداً بظاهرة المركزية الاثنية الغربية، وظاهرة عسكرة العولمة، وتفجير العالم وقنبلته، وتنامي الفجوة بين الغرب والآخرين، وأنانية الغرب الذي تحكمه فلسفة قارب النجاة مما يهدد بإقامة حوار متكافئ، ونبيل، وعادل بين الأطراف المختلفة. ولعل مشروع الإمبراطورية الأميركية، كما تبدو في جبال تورا بورا الأفغانية وفي الفلوجة وحديثة العراقيين، لا يبشر بمثل هذا الحوار الذي يبدو بين خصمين يرتدي كل منهما قناعاً للتضليل، وهو ما يجعل من دعوة بلير _حول تحالف الحضارات من أجل الإرهاب_ تحت سقف الطموح بكثير.

إذا كان الحوار من شأنه أن يقود إلى الفهم، فإن استيفاء الفهم لشروطه الواجبة جدير بأن يؤدي إلى التفاهم. غير أن التفاهم لا يجري شفافاً ومتماسكاً ما لم يتم تجاوز المعوقات التي تحول دون استمراره، والتي يمكن توضيحها فيما يلي:

ب. إلغاء نزعة الاستكبار وسياسات القهر والعدوان:

لكي يكون الغرب جادّاً في اتجاهاته نحو الحوار، لا بد أن يتخلص من نزعة الاستكبار وأن ينظر إلى الآخر نظرة التكافؤ والقبول، وهذا يعني أن عليه الإقلاع عن نظرته الدونية والتخلي عن سياسات الإقصاء والتهميش، وبالضرورة استراتيجيات الغزو والتهديد والاستعباد وتجاهل مصالح الآخر.



ومن المؤكد أن أكثر قواعد التفاهم حيوية هي أن لا تكون القوة ومشاعر العلو حاضرة في أي لقاء، ناهيك عن العنف الذي يجب أن يستبعد كوسيلة لفرض الهيبة أو بسط النفوذ، وأنه لا بد أن ينظر إلى الآخر بصفته شريكاً يمكن التقارب معه من أجل توثيق عرا التعاون، أو تحقيق الاعتماد المتبادل، أو التفاوض للوصول إلى التسويات المرضية فيما يتعلق بالقضايا العالقة، أو التي هي محل اختلاف، أو نزاع أو إشكال.

إن الرغبة في اختزال الرؤى والأنماط وعدم المبالاة بمصالح الآخر وترجمة ذلك إلى سياسة يمارسها القوي بمنطق قوته وجبروته، إنما هي استكبار لا نتوقع في ظله انبثاق الرضا، أو التوافق من جهة الطرف الضعيف، ولو لم يظهر هذا الطرف رفضه أو عدم رضاه.

ج. التحرر من المكتسبات غير المشروعة:

من أقوى معوقات التفاهم أن يتمسك كل طرف بما اغتصبه من حق الطرف الآخر في مرحلة من المراحل دون مسوغ شرعي، واعتباره ذلك من المكتسبات التي لا يمكن التنازل عنها، كما هو الحال في علاقة الغرب مع العالم العربي الإسلامي، حيث إن الأول بما حازه من قوة عسكرية وعلمية ومادية في غضون المائتي سنة الأخيرة، استطاع أن يفرض على الثاني واقعاً قوامه الاستعمار المباشر في مرحلة والاستعمار غير المباشر في مراحل لاحقة، الأمر الذي زرع في مسرح علاقتهما ثنائيات الاستكبار والاستضعاف والمتبوع والتابع، مما جعل تفاهمهما أمراً لا يستقيم له حال.

لنتأمل موقف الولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر «دربان» الذي عقد في جنوب إفريقيا في نهاية العام ٢٠٠١، وكيف أنها لم تكلف نفسها الإنصات إلى

مطالب الدول الضعيفة التي عانت من الرق والنهب والاستغلال، حتى أنها رفضت أي مقترح يدعو إلى تقديم الاعتذارات أو التعويضات المطلوبة من قبل الدول الاستعمارية على ما أصاب تلك الدول المستعمَرة من خسائر وإيذاء.

إن الحوار المتكافئ يعني بالضرورة أن يتراجع الطرف الطاغي عما تمخض عن فترات العلاقات غير الطبيعية من معادلات ضيزى وثنائيات متعسفة وأوضاع مختلة.

وإذا كان هذا المطلب صعباً على من يقبع فوق تراكم المكتسبات، ومن جعل نموه مشروطاً بتخلف الآخر واستضعافه، واحتل جراء ذلك الكفة الأثقل في ميزان العلاقات، فإن الخضوع لمثل هذا المطلب يحتاج في المقام الأول إلى وعي بالغ وسمو استثنائي ومراجعة جوهرية. فهل نتوقع من الغرب أن يبلغ هذا الوعد ويرضى بعلاقات دولية أكثر عدلاً وإنسانية ورقيّاً؟

لذلك لا يمكن الحديث عن أي لقاء حقيقي بين الحضارات في ظل العلو والتورم الحضاري الذي طالما شكل باعثاً على الاستهانة وعدم الاعتراف بجدارة الآخرين.

د. إن اللغة المشتركة يجب أن تنمو تحت ظل الهوية الراسخة!

إن رفض التعددية وعدم احترام خصوصيات الغير _من العوائق التي تحول دون التفاهم_ هو ذلك المنظور الأحادي الذي يرفض التعددية ولا يعترف بخصوصيات الآخرين.

والحوار لكي يكون ممكناً وناجحاً، لا بد أن يتخلى كل طرف عن فكرة أن حضارته هي الحضارة الوحيدة الراقية، وأن معاييرها هي التي يجب أن تسود. لهذا فإن اعتقاد القوي أو الغني أو الأكثر علماً وتقنية بعالمية معاييره ونهائية رؤاه،



إنما يعكس دعوة توجه للآخرين من أجل الانصهار أو قبول التبعية. «فالعلمانية» و«العقلانية» و«الحرية الفردية» و«الحداثة»، كلها مجرد مدركات نسبية لا تمثل مضامينها حقائق مطلقة. فما هو مقبول أو صالح بنظر الغرب ليس بالضرورة أن يكون مقبولاً أو صالحاً بنظر غيره. لهذا ليس مطلوباً من الطرف الإسلامي من أجل التفاهم مع غيره أن يتنازل عن خصوصياته واختياراته على نحو ما يدعو إليه بعض الغربيين، ومنهم على سبيل المثال المفكر الإنجليزي «٣٢»«بيدهام براون» الذي كتب في عام ١٩٩٤ مُطالباً العالم الإسلامي بضرورة الانسجام مع الاقتصاد الحديث، وقبول فكرة المساواة بين المرأة والرجل، وتمثل القواعد الديمقراطية بمصادرها وصيغها الغربية، ومنح الكافة حرية الاجتهاد الديني دون حصرها بالعلماء، وهي مطالب ـكما لا يخفىـ لا تمثل إلا دعوة للتبعية، وهي عين ما تطالب به العولمة التي تتشكل الآن.

فالتعددية في الثقافات لا تقل أهمية عن التعددية في سائر مظاهر الكون والحياة، وإن أية محاولة قسرية لاختزال الخيارات في خيار واحد، ما هي إلا شمولية مرفوضة. ولقد أحسن إعلان مبادئ التعاون الثقافي بين الدول الذي أصدره المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، في ٤ نوفمبر ١٩٦٦ حين نص في مادته الأولى على أن:

١. لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامها والمحافظة عليها.

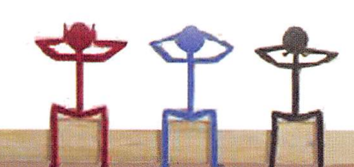
٢. من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته.

٣. تشكل جميع الثقافات، بما فيها من تنوع خصب، وبما بينها من تباين وتأثير متبادل، جزءًا من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعاً.

وعلى هذا فإنه على الرغم من الاختلاف يمكن قيام التعاون الإنساني على

قاعدتي التعارف والتعايش بين الحضارات. لكن الغريب أن نجد الثقافة الغربية الرسمية، وهي تسعى لفرض مقاييسها ونظمها، تحسباً لأية ممانعة مشروعة، بل لا يروق لها أي التزام متميز، حتى ولو اندرج تحت عناوين الممارسة الديمقراطية أو حرية المرأة في المشاركة العامة، كما هي الحال في موقفها من تعبيرات الظاهرة الإيرانية بحسب جلال أمين.

لكن يجب أن لا ننسى أن احترام الخصوصية لا يعني التشجيع على التقوقع، أو مطالبة كل ثقافة أو حضارة بإقفال أبوابها دون التفاعل مع الخارج، أو حتى الكف عن الطموح باتجاه العالمية. فالاتصال والدعوة ومحاولات التأثير في الآخرين ليست أموراً ممنوعة، ولا هي مما يدخل في نطاق المكروهات، ما دامت تجري بالطرق السلمية. والحوار وتوازن القوى قد لا يكون بقوة التسلح أو الترسانة العسكرية، ولكن قد يكون بطرق أكثر جدوى وفاعلية كالاكتفاء الذاتي _مثلاً_ أو استغلال خيرات البلد في مجال الصناعة والاقتصاد أو التكنولوجيا. ((ويمكننا الاستفادة من تجربة رائدة في هذا المجال وهي تجربة (الإمارات العربية المتحدة). فإن نزعة التمركز حول الذات، كثيراً ما تغدو حاجزاً يعوق عمليات العبور نحو الضفاف الأخرى)).



*دبي قلبت وجه العملة فسمعوا رنين الذهب:



من الصعب أن تزور هذه الإمارة الصغيرة بدون أن تتلهف لفصول قصة الظفر، والتي سردتها أسرة آل مكتوم بما تم إبرامه وخلال فترة وجيزة.

فإمارة دبي، وإن كانت ضئيلة في حجمها وفي تعداد سكانها ومواردها الطبيعية، إلا أنها أصبحت وطناً لأكبر وأهم المشاريع العالمية. والمبرر لذلك يعود إلى عامل الإدارة والتدبير، والذي كان حاضراً في كل مراحل تشييدها. وأثبت على أرض الواقع أنه عندما يكون هناك إعداد سليم وعلى المدى الطويل، ثم يتبعه إدارة مخلصة ومتابعة لعملها؛ فلن يوجد _بإذن الله_ شيء اسمه المستحيل. ولعل الذين يدعون أن دبي هي فقاعة، أو يدعون أنها ظاهرة مؤقتة، ولا يمكن أن تستمر؛ لعلهم يأخذون دروساً من هذه الإمارة بدلاً من إصدار أحكامهم السطحية .

((دبي عاصمة الإنجازات، ورائدة من رواد التطور والنمو. ولقد أسهمت في جذب انتباه العالم لها خلال فترة وجيزة. ويبدو أن الشيخ زايد _رحمه الله_ قد أدرك بحكمته المعهودة سر جهاد هذا العصر وهو الحوار المتكافئ القوى، فسعى لأن تمتلك دولته أسلحة ذلك الجهاد، كي يكون أبنائها قادرين على إدارة معاركهم دون شعور بالدونية أو الضعف أمام القوى العظمى)).



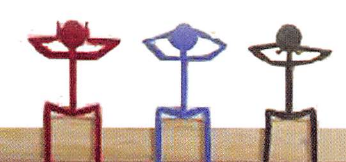
هـ . تفتيت التعصب ومداواة جراح الماضي:

يُعد التعصب بمختلف أشكاله من أسوأ عوائق التفاهم، نظراً لما ينطوي عليه من تصلب سواء على المستوى النفسي أو العقلي. والمتعصب بشيمته لا يقبل المغايرة ولا يريد الاستماع إلا إلى صوته، ومن ثم فهو يعمل جاهداً على حرمان الآخر من حق الإبداء، بل يسعى إلى نفيه وإقصائه عن ساحة التمثيل، أو يمكر للتشويش عليه في أقل تقدير. ذلك لأنه يأبى أن يرى الحق عند من يتعصب ضده، ومن ثم فهو لا يهمه غير الاستهانة به، وبخسه حقه من الرأي، وتفنيد ما يتبناه، وبهذا يصبح التعصب مصدراً لإثارة ردود الأفعال السلبية.

وإذا كان «٣٣»(ريتشارد هاريس) يرى أن النماذج الجاهزة في حوار الأديان، كثيراً ما تسيء صراحة أو ضمناً إلى المختلف، كحالة عدم استيعاب كثير من المسلمين _كما يرى_ لفكرة التوحيد في تصورها المسيحي، فإن الغربيين _بوجه عام_ ليسوا بأفضل حالاً في هذه الناحية من غيرهم. وقد أشبع الكثير منهم العقيدة الإسلامية تشويهاً وامتهاناً منذ القديم وحتى الآن.

لهذا، فإن من دواعي التفاهم أن لا يؤخذ الحوار بحمى التعصب وسجال العواطف واستراتيجيات التفنيد والبحث عن الانتصار بأي طريقة ممكنة، ذلك أن الحوار لكي يكون بناء، عليه أن يكرس الجهد المشترك، للإقرار بما هو حق وصحيح، وإزالة ما يثبت بطلانه أو عدم صحته. لذا يمكن القول بأن أي حوار لا يكون معافى ما لم تُنقَّ فضاءاته من أدخنة التعصب وتُطهَّر أرضيته من ألغام التحطيم.

بل إن إزالة التعصب شرط لإزالة التوتر والاحتقان، وتوفير المناخ الصحي الذي يسمح بالانفتاح على الآخر والإنصات إليه والدخول معه في حوارات مفيدة.



ولعل سيطرة الماضي وفتح جراحاته، أحد أكثر العوامل حساسية في عرقلة جهود التقريب بين المختلفين. فحضور معركة «٣٤»«بواتييه» ووقائع المنازلات الصليبية وأيام الإمبراطورية العثمانية والمفاهيم التاريخية المغلوطة والذكريات المؤلمة للاستعمار الحديث، أمست كافة تشكل روافد ساخنة لتغذية الضغائن واصطناع الحواجز النفسية بين الطرفين الإسلامي والغربي، بما أوشكت أن تحول دون التفكير في فتح صفحات جديدة.

لهذا فإن التفاهم سيبقى أبعد عن التحقيق، ما لم تتوقف الحملات والتعبئة العامة المتبادلة التي تشحن الذاكرة بمعارك الماضي، ولا تكف عن تأصيل العداوات. ومن الطبيعي أنه كلما كان الحاضر مطويّاً على حسن النيات ومزدهراً بالوقائع الطيبة، كان نسيان الجراح ممكناً. ((والدليل أن من يرى اليابان الآن، لا يكاد يصدق بأنها ذات الدولة التي _قبل ستين سنة_ كانت تطوقها غيمة الرماد، وكان الشعب فيها منغلقاً على ذاته خوفاً من الحضارة الغربية وتأثيرها على معتقداته وتقاليده)).

* اليابان رفعت صوت التكنولوجيا فأصغوا لها:

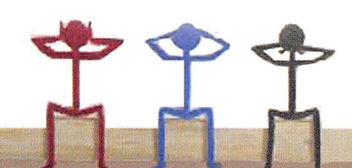


إن المتمعن في جوف التاريخ يكاد لا يصدق أن اليابان اليوم هي الدولة ذاتها والتي عاشت في أواسط القرن السادس الميلادي قبل حوالي ٢٥٠ سنة، فترة من العزلة، أغلقت فيها جميع حدودها مع العالم الخارجي، وذلك خوفاً من تغلغل دعاة التنصير فيها وانتشار المسيحية ثم الاستعمار (كما حدث في دول جنوب أمريكا).

لكن المواطن الياباني تعلم درساً قاسياً حول عدم جدوى الانغلاق، يوم وجد نفسه يتلقف على أرضه أكبر وأخطر سلاح عرفه التاريخ آنذاك (القنبلة الذرية) والتي ألقيت على هيروشيما بتاريخ ١٩٤٥\٨\٦ ثم تلتها بأيام القنبلة الثانية على ناجازاكي.

وكان عدد الذين ماتوا يومها في الحال مئة ألف، إضافة إلى خمسين ألفاً فيما بعد، من أثر سموم الإشعاع الذري.

((لن أخوض كثيراً في تاريخ مأساة اليابان والتي تسمر العالم كله شاهداً عليها دون أن يحرك ساكناً، لكن ما يستحق التطرق له بالفعل، هو الصحوة التي طالت اليابان _حكومة وشعباً_ بعد خيبته تلك . فالجندي الياباني الذي أظهر



قدرات تكتيكية عسكرية مدهشة في الحرب، وكان مبدؤه الموت بشرف، أفضل من الإذعان في ذل؛ وجد جبهة أخرى للقتال فيها وبذات الشراسة والقدرة التخطيطية، وهي (التكنولوجيا الحديثة)، ليرفع بها علم اليابان عالياً)).

((فصوت اليابان وصيحاته التي لم تتمكن من صد القنبلة الثانية صوب ناجازاكي قبل ستين عاماً، أصبح الآن من أقوى الأصوات في العالم، والتي ينصت لها الغرب والشرق بل إنها أضحت تمتلك صوتاً في كل سكن في البسيطة من خلال تقنية الاتصالات وما تُصدره منها إلى مختلف دول العالم، فضربت بذلك أعظم مثال للّبؤة التي لعقت جراحها سريعاً ثم خرجت من عرينها نحو عالم أكثر انفتاحية ورحابة دون أن تخسر هويتها الأصلية أو تقاليدها العريقة)).

(٥) الإعلام ودوره السلبي:

(١٧) «في عالم تحول إلى قرية صغيرة بفضل ثورة الاتصالات، يتعاظم دور وسائل الإعلام التقليدية والحديثة في خلق وتعزيز الحوار بين الثقافات، لا سيما في أوقات الأزمات. ولقد أصبح الإعلام هو إحدى السلطات الأربع، وقد يتقدم في الترتيب على بعضها، خاصة في مجالات الفكر والثقافة بفضل القفزة الكبرى لتكنولوجيا الاتصال خلال العقدين الماضيين.

فلقد ساهمت وسائل الإعلام بلا شك بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر في توضيح التناقضات بين الحضارتين الشرقية والغربية. ولقد أظهرت نتائج الخوف وانعدام الأمن ـ والتي تسبب فيها الإرهاب ـ قراءة مخطئة للحقائق بين الشرق والغرب، وخطاباً سياسيّاً ودينيّاً وثقافيّاً يستخدم ضبابية في وقت اختفت فيه الحدود بين القوى السياسية ووسائل الإعلام. إلا أن القدرة على الوصول إلى المعلومات أصبحت أكثر صعوبة للصحافيين لا سيما في مناطق النزاع.



وفي مواجهة هذه الأفكار المعدة سلفاً، والتي تصل إلى الرأي العام عبر عدد من وسائل الإعلام المهمة، فإن المصادر المتعددة للمعلومات هي وحدها الكفيلة بتمكين الرأي العام من تكوين حكم خاص وحر عند قراءته للأحداث».

(١٨) «وكثيراً ما نستغرب الطريقة التي ينظر بها الغرب إلى المسلمين عموماً والعرب خصوصاً، وكثيراً ما نتساءل عن مناعة هذه النظرة وعدم قابليتها للتغيير. لذلك وفي كثير من الأحيان _اختصاراً للوقت وفتوراً عن التحليل_ نرجعها إلى «الإعلام» المعاصر وجهوده في إظهارنا بمظهر غير لائق نتيجة لخلافات سياسيةٍ ناتجةٍ عن قضايا معاصرة، ومن أبرزها قضية العصر (قضية فلسطين). لكن قضية فلسطين في الحقيقة نتيجة وليست سبباً. فقضية فلسطين (ومثلها قضية الاستعمار) سبقها الكثير من الكتابات التي تَشِي بوجود هذه النظرة منذ عهد بعيد!

> ساهمت وسائل الإعلام بلا شك بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر في توضيح التناقضات بين الحضارتين الشرقية والغربية





ما الذي يجعل الإنسان الغربي بالطبيعة مستعداً لأن يظن كل الظنون بالإنسان المسلم أو العربي؟ وما الذي يجعل هذه النظرة هي الأصل وغيرها الشاذ؟

كوَّنَ الغربيون في وقت مبكر من تاريخنا صورة ذهنية ثابتة للإنسان المسلم (تاريخيّاً، هم لا يستخدمون كلمة «مسلم»، وإنما «الإسماعيلي» أو «الوثني» أو «المحمدي»). وتتجلى هذه الهيئة في كثير من أدبياتهم التي حررت في وقت مبكر من ظهور الإسلام، من طرف بعض الرحالة والقسيسين والحجاج الذين كانوا يطوفون بلاد الإسلام لزيارة فلسطين. والغريب أنك عندما تطالع ما كتبوه في تلك الفترة عن المسلمين ستندهش، وكأنك تقرأ لكاتب غربي معاصر نتيجة تشابه المصطلحات المستخدمة في وصف المسلمين. فالنظرة الغربية إلينا عتيقة ضاربة في أعماق التاريخ، ولم تتغير رغم أنهم تغيروا، بل ظلت تتطور من سيئ إلى أسوأ حتى وصلت ذروتها في أيام الحروب الصليبية والاحتكاك الذي وقع في شبه الجزيرة الإيبيرية والذي انتهى بطرد المسلمين منها.

وبعد أن تم طرد المسلمين من أوربا _بفترة ليست بالطويلة_ بدأ عصر

النهضة والانفتاح العلمي الذي ساهم في قلب المفاهيم في العالم الغربي رأساً على عقب. لكن الأغرب هو أن عصر النهضة هذا عندما جاء غيَّر كل شيء، وقلب كل الموازين، إلا النظرة والصورة النموذجية للإسلام والمسلمين، فإنها لم تتغير. أو كما تشير مؤلفة كتاب (Muhammad in Europe) (محمد في أوروبا)، فهي تقول: «الملاحظ أن عصر التنوير والعقل فشل في تغيير هذه النظرة»(ص ٤). وذلك ما يدعونا إلى التساؤل _أولاً_ عن خصائص هذه النظرة وماهيتها، ثم يدعونا بعد إلى استكشاف أسبابها.

نستطيع أن نوجز صفات الإنسان المسلم أو العربي في الذهنية الغربية كما يلي: هم دائماً يؤمنون أن الإنسان المسلم لا بد أن يكون:

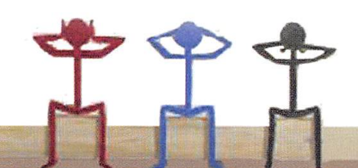
١ - متوحشاً. ٢-لا يحب الناس ولا يحبونه.

٣- عنيفاً بطبعه. ٤- غير متحضر.

هذه الصفات أو المصطلحات تتراءى للقارئ البسيط وكأنها مفردات جديدة من قاموس القرنين الماضيين، تُوصَف بها الشعوب غير المتقدمة في العالم الثالث، من طرف العالم «المتحضر» بعد عصر النهضة. لكن القضية لا تبدو كذلك، فهذه النظرة وتلك الأوصاف قديمة متجذرة في النفس الغربية المسيحية!

- **ولعل السر الذي يكشف هذا اللغز**

وتفسير هذه النظرة العصية على التغيير يكمن في وجود نصوص من التوراة (المحرفة) تتحدث عن إسماعيل _عليه السلام_ وتصفه بهذه الأوصاف (باعتبار أن العرب هم «الإسماعيليون»). ففي سفر التكوين (١٧-٢١) وسيكون إسماعيل إنساناً وحشيّاً، يعادي الجميع والجميع يعادونه، ويعيش في خلاف مع إخوته (سفر التكوين١٦-١٣). فالنبوءة التوراتية إذاً تفترض أن يكون إسماعيل _عليه



السلام_ وبنوه متوحشين وغير متحضرين، يعادون الجميع والجميع يعاديهم. لذلك لا يجد الإنسان الغربي صعوبة في الميل إلى أي متحدث يصف المسلمين بالتطرف ومعاداة الحضارة. بل إن هذه المصطلحات ستجد طريقها بسهولة ويسر، لمداعبة ذهنيته عن طريق لغة توراتية مفهومة. وسيجد الصعوبة كل الصعوبة في استساغة العكس. فإذا قام اليهود _مثلاً_ يشكون الإرهاب العربي الإسلامي، سيجدون التربة ممهدة أمامهم والتهم جاهزة. أو كما يقول الكاتب البريطاني (ريتشارد فلاتشر) في كتابه: (The Cross and the Crescent) (الصليب والهلال) متحدثاً عن النظرة المسيحية للعرب: «كان كل شيء هناك! إنهم(ويعني العرب) كما وصفهم الكتاب المقدس» (ص١٠).

فما دام الكتاب المقدس تحدث عن هؤلاء «الإسماعيليين» ووصفهم بهذه الأوصاف وتنبأ كذلك بأنهم «سيُعادون الجميع» فالمشكلة إذاً فيهم وليست فينا! أو حسب العبارة المفضلة الآن لدى كثير من المسؤولين والإعلاميين في الغرب: «They hate us for who we are!».«إنهم يكرهوننا لذاتنا».

ولكن الأغرب في المسألة هو وجود نبوءات توراتية في نفس السفر من الكتاب المقدس تتحدث عن إسماعيل_عليه السلام_ حديثاً إيجابيّاً. فعلى سبيل المثال يقول الرب في التوراة متحدثاً عن إسماعيل: «سأباركه وأجعله مثمّراً وأكثّره جدّاً... ويصبح أمة عظيمة» (التكوين١٧-٢٠). ويخاطب الرب كذلك إبراهيم _عليه السلام_ ويبشره أنه سيبارك نسله من بعده. ومن الطبيعي أن إسماعيل ابن لإبراهيم وأن هذه النبوءة تنطبق على ذريته. لكن من أجل إعلاء العنصر اليهودي فقد وضعت نصوص أخرى تقيد «البنوة» لإبراهيم و«تخصصها» وتُخرج إسماعيل منها، إذ إن الله عندما يقول لإبراهيم: «ذريتك» فإنما يعني ذرية إسحاق. ففي سفر التكوين(١٨- ٢٢) يقول الرب مخاطباً إبراهيم: «لكن عهدي أعقده مع إسحاق

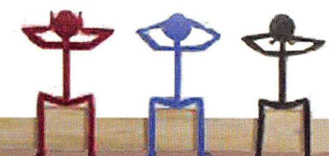


الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من العام القادم». وفي موضع آخر نجد: (التكوين ٢١-١٣) «لا تنزعج بشأن الولد وبشأن جاريتك. (يعني إسماعيل وأمه) اعمل كما تقول سارة، لأنه عن طريق إسحاق يكون نسلك» (التكوين١٨-١٩) فعبارة «النسل» احتكرها إسحاق وبنوه، وباحتكارهم لها فقد احتكروا كذلك «مباركة أهل الأرض بهم». إذ نجد في نفس السفر (١٨-١٩) أن الرب يقول: «أنا لا أخفي عن إبراهيم ما سأفعله، فإنه سيكون أمة عظيمة وقوية، وبواسطته أبارك كل شعوب الأرض».

فإذا كان هذا هو قول الرب _حسب كتبهم المقدسة_ فإن المسلمين أو الإسماعيليين لا يستحقون البنوة لإبراهيم، صحيح أنهم أبناؤه بيولوجيّاً، ولكنهم ليسوا أبناءه، لا روحيّاً ولا معنويّاً، نتيجة للشر الذي فيهم والناتج عن بنوتهم لإسماعيل. فهذه النظرة وهذه النصوص التوراتية تفسر الكثير من العنصرية التي يعامل بها الغرب المسلمين. فالمسلمون _في نظرهم_ دائماً في موقع «المستثنى»، وهم تاريخيّاً وتوراتيّاً مستثنون من بنوة أبيهم لما هو كامن فيهم. ونتيجة لذلك نجدهم في هذا العصر مستثنين كذلك من القوانين الدولية والاتفاقيات، لأنهم إرهابيون وقتلة و«أعداء للجميع»، لذلك لا تنطبق عليهم اتفاقيات حقوق الإنسان في كثير من الأحيان. أو كما يوضح ريتشارد فلاتشر: «من الممكن أن يوصف العرب بناء على هذه النظرة على أنهم أعداء للبشر بسبب نسبهم» (الصليب والهلال ص١٠).

هذه النصوص وتلك النبوءات في رأيي هي سبب من أهم أسباب النظرة الغربية إلينا إن لم تكن السبب الرئيس أو الوحيد.

أيضاً ما وقع في تفسير الكثير من سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية من اجتهادات فردية وجماعية، قد تكون خرجت في بعض الأحيان عن المعنى الحقيقي للنص.



- لكن السؤال المطروح هو: ما هي مسؤوليتنا تجاه هذه المعلومات الخاطئة؟ وكيف نقدم أنفسنا بطريقة تدحض هذه الادعاءات؟

مسؤوليتنا كعرب ومسلمين تتمثل في نقطتين:

الأولى: فهم تراث الإنسان الغربي، خصوصاً تاريخه قبل النهضة وعدم اختزاله، والنظر إلى العبء التاريخي الذي ينوء به كاهله، بداية بالنصوص التوراتية «الموضوعة» والمفسرة بطرق مُعوجة، مروراً بتقليص رقعة «٣٥» الدولة البيزنطية على أيدي المسلمين و الحروب الصليبية فالغزوات التركية داخل قلب أوروبا، وفوق هذا وذاك التراث المسيحي المكتوب في هذه الفترة الطويلة الممتدة منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم وتأثيره على طريقة نظرة القوم إلينا، مروراً بالقضية الفلسطينية التي ساهمنا بطريقة أو بأخرى من خلالها في إثبات بعض هذه النظريات.

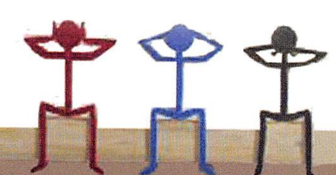
الثانية: إثبات زور هذه «النظرية» وعنصريتها، لا تأكيدها وتقديم الأدلة الميدانية عليها وتعميقها عن طريق تقديم القضايا العادلة بواسطة محامين فاشلين. علينا أن نثبت للعالم أننا أبناء لإبراهيم _عليه السلام_ جديرون ببنوته، بل أننا ورثته الشرعيون الوحيدون. وبعد، فقد آن الأوان أن نلغي فكرة «الإنسان المحايد»، التي دائماً ما ننظر بها إلى الأكاديمي الغربي، باعتباره إنساناً قد تخلص من ماضيه وتجرد للحقيقة المجردة، دون أن يكون للهوية أو التاريخ أو الدين عليه من سبيل.

ولقد ساهمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في تشكيل رؤية الرأي العام للشرق، وإثارة المزيد من التوتر. وقد وضع الإرهاب الولايات المتحدة أمام عجزها عن ضمان الأمن لمواطنيها، وقامت المجموعات الإرهابية باستخدام وسائل الاتصال في إستراتيجية عملها. ومنذ ذلك الوقت أصبحت وسائل

الإعلام إحدى الوسائل الأساسية في إستراتيجية الحكومة الأمريكية التي تهدف إلى إقناع الرأي العام أن الأعمال الإرهابية هي شكل من أشكال الحروب، وأصبحت مهمة الصحافيين الحصول على إجماع المجتمع حول قرارات الحكومة والحرب على الإرهاب.

وقد سيطر على الإعلام نوع من الانقسام على أساس الانتماء إلى مجموعة معينة، يتلخص في كلمتين هما «نحن» و»هم». وأصبح الانحياز _المفتاح لقراءة كل شيء_ يختلف عن «نحن»، إلى جانب عزز ضعف التخصص في مجال الصحافة المكتوبة عن الإرهاب هذا الانحياز. وأدت هذه الإستراتيجية _المزدوجة المعايير_ إلى خلق سوء تفاهم متبادل، وبالتالي تراجع مستوى التحليل، وأصبح كل من تغطية الأحداث واختيار الموضوعات مرتبطاً بشكل أكبر بالمصالح المادية للصحف، مما تسبب في خسارة الصحافة لمصداقيتها، بسبب الآراء المتحيزة، وقلة الموضوعية، والكذب والتلاعب. إن قلة مصادر المعلومات تؤدي إلى تشويه الحقائق، لا سيما تلك المتعلقة بالعالم العربي.

وماذا يمكن أن نتوقع من الإعلام الذي زاد اليوم انتشاراً، وتعددت وسائله، وتراوحت بين شركات عالمية كبرى، وكتّاب المدونات الذين كسبوا جمهوراً جيداً، إلى مواقع الإنترنت، وغيرها، حيث يتم الترويج للاختلاف والكراهية؟ إن وسائل الإعلام في غالبية الدول الإسلامية تواجه الكثير من التحديات، وأكبرها التهديد الذي يلاحق الصحافيين _ومن كافة الجنسيات_ بالقتل، الذي أودى بالفعل بحياة الكثير من الإعلاميين الشرفاء والمخلصين بالعمل. مؤكداً أن صورة العرب والإسلام قلما كانت إيجابية في الكثير من وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية، وغالباً ما يتم تصوير المسلمين بأنهم إرهابيون، يميلون إلى العنف، ومتخلفون، وكاذبون، وخطاؤون، وقذرون، ومتوحشون، وأغبياء.



والبعض في الغرب يجادل فيما إذا كان الإسلام والمسلمون قد حلوا محل الشيوعيين «كتهديد للعالم» أو بمثابة العدو الجديد. بينما في العالم الإسلامي ما زال يُنظر إلى القوى الاستعمارية الكبرى _واليوم إلى الولايات المتحدة الأمريكية_ على أنها عدو للإسلام. وغالباً، هناك أسباب تكمن خلف هذه النظرة، وهي تقديم كبش فداء لإلصاق الاتهامات به، وتعليق الأخطاء والإخفاقات عليه. بينما في المقابل وإشارة إلى أزمة الرسوم الدنماركية المسيئة للإسلام، فلقد تم تصنيفها وتبريرها في الغرب على أنها تدخل ضمن حرية التعبير. ولكن هناك بالواقع اعتبارات محلية وتاريخية، ويرى ما نسبته ٥٧٪ من البريطانيين أن هذه الرسوم ما كان يجب نشرها، فلقد غذت عملية نشر تلك الرسوم عامل الخوف من الإسلام في بريطانيا، والتهديد الذي يمكن أن يشكله المسلمون على بريطانيا وكيانها.

(١) تصحيح مسار الإعلام العربي:

يحتوي الإعلام الإسلامي على كثير من المغالطات وعدم الدقة والتقليد والخرافة. وهذا الإعلام يبرز _كثيراً_ نظرية المؤامرة، حيث الاعتقاد السائد أن اليهود يسيطرون على الإعلام البريطاني وغيره، وأن الموساد يدير ٩٠٪ من ذلك الإعلام.

كما أن الإعلام الإسلامي يتجاهل الأخبار والمقالات الإيجابية المتعلقة بالإسلام، لافتاً إلى أن أحد أكبر التحديات هي الجهل، الجهل، الجهل!!

ربما الجواب هو التعلم، التعلم، التعلم. والإسلام واضح في هذا المجال، فأول الكلمات التي أُنزلت على الرسول محمد _صلى الله عليه وسلم_ هي «اقرأ».

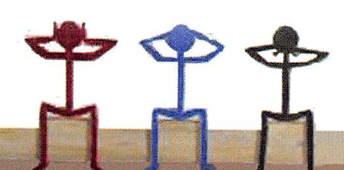
لقد أظهر استطلاع أجراه «مجلس التفاهم العربي البريطاني» عام ١٩٦٧

أن ٩٨٪ من البريطانيين يعلمون القليل عن العالم العربي، وأظهر استطلاع آخر بعد أحداث ١١ سبتمبر أن ٧٨٪ لا يعلمون إلا القليل أو لا يعلمون شيئاً عن الإسلام. وإنه بإمكان وسائل الإعلام العالمية تخفيض نسبة الصراعات عبر نشر التقارير. وأشار إلى أن الإعلام قد يساء استخدامه، وذلك في التحريض _مثلاً_ كما فعل القائد الألماني النازي «٣٦» هتلر، والإيطالي «٣٧» موسوليني في استغلال الإعلام لغسل أدمغة الشعوب وقيادتها إلى حرب مدمرة. وأضاف أن من الممكن لوسائل الإعلام أن يكون دورها إيجابيّاً وبنّاءً من خلال توخي الدقة عند نقل الأخبار الكامنة وراء الصراعات والتركيز على الموضوعية والبحث عن مصادر المعلومات. إن الإعلام العربي يناقض الإعلام الغربي في مساحة الحرية المطروحة عبر أجهزته. مشيراً إلى أنه على الرغم من اتساع أعداد وسائل الإعلام والفضائيات العربية، لكن سلطتها كانت محدودة. لافتاً إلى أن (قناة الجزيرة) على الرغم من جرأتها لكنها لا تزال تمارس اللين في تحديها لسطوة الحكومة ومحاولتها تغيير المناهج الاجتماعية والثقافية.

إن الجانب العربي والإسلامي لديه شعور موروث بأنه «الضحية». وفي الجانب الغربي تتعارض القيم مع اندفاعهم العاطفي، بينما انفتاح العرب وتحملهم يتعارض مع انغلاقهم وعدم تحملهم.

(٢) ((ومن وجهة نظري لا يكون دور الإعلام فعالاً بالشكل المطلوب إلا في حال:

- انسلاله من إطار دور الضحية، والذي صُبغت به الشخصية العربية على مدى عصور.
- التمسك باللغة العربية، ومحاولة إنشاء قناة عربية تترجم المسلسلات والبرامج العربية إلى اللغات الأجنبية، بحيث تنقل للآخر عاداتنا

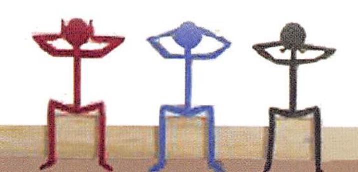


وتقاليدنا وأفكارنا بعيداً عن السياسة، وتكون بلغة فصيحة سليمة، عوضاً عن ترجمة ودبلجة البرامج بلهجات عامية، والتي أسهمت في انتشار «الشعوبية المقيتة» بين أبناء الشعب العربي، بدلاً عن اللغة العربية الفصيحة والتي بدت قصراً على بعض البرامج السياسية والثقافية وبعض المسلسلات وبرامج الأطفال. ومن الملاحظ، أن أغلب القنوات الأجنبية في البلاد العربية، لا تُعنى إلا بما ينتجهُ الغرب، وكأنما وضعت لتروج لهم داخلنا وليس العكس! متناسين أنه يفترض أن يكون الغرض الأول من إنشاء مثل هذه المنابر، هو نقل الحضارة العربية إلى العالم الغربي، وتوجيه خطاب رسمي لهم بلغتهم. كذلك يجب نبذ «٣٨» (المسوخ اللغوية) والتي ظهرت في العصر الحديث، وانتشرت بين المسلمين، وهي لا تمتلك انتماءً واحداً على أساس أنها لغة مشتركة للحوار، كتلك (اللغة الإلكترونية الحديثة) التي يستخدمها الشباب في خدمات الشبكة العنكبوتية المختلفة، كبرنامج (المسنجر)، ومواقع الدردشة، والفيس بوك، والتي أدت إلى تراجع استخدام اللغة العربية تماماً، بل حتى اللهجات العامية منها في الكتابة.

- أيضاً من واجب الإعلام، تحاشي مسببات شرارة الفتنة وتأجيج نارها بين الأشقاء العرب والمسلمين، رغم تفاهتها في بعض الأحيان، كما حدث في شمال أفريقيا (بعد مباراة مصر والجزائر)، ووضع عقوبات رادعة من الحكومات العربية لمن يتعمد إحداث مثل هذه الزوابع بين الأشقاء، والتي تثبت للغرب أن العرب والمسلمين شعوب تحتاج إلى وصاية دائمة كي تحافظ على استقرارها في الداخل.



- تسليط الضوء على النواحي الدينية، والفكرية، والعلمية، والحضارية للدولة.
- تطوير مهارات القائمين على القنوات العربية حواريّاً، والنأي عن أسلوب الهجوم والدفاع الذي تتبعه أغلب القنوات _للأسف_ كنوع من شد المشاهد، فتدلل بذلك على همجية العقل العربي والإسلامي بالنسبة للآخر.
- البعد عن إظهار رذائل المجتمع العربي والإسلامي، ولفت الانتباه نحو الشواذ من التجاوزات الفردية، كي لا يراها الآخر وكأنها سمة متبعة في البلد، فيؤصل ذلك نظرة الغرب _السلبية_ نحونا.
- عدم الترويج للسلبيات في المجتمع بحجة التنقيب عن حل لها، فإن ذلك يسهم بانتشارها بشكل أكبر، فتصبح مُستساغة عند الفرد بعد أن كانت أموراً يستحيل تقبلها)).





الخاتمة...

خلاصةُ القول:

إن بناء علاقة سليمة مع الآخر لا تكون إلا عبر تأسيس عقلية التواصل الحضاري ومواجهة قيم الانغلاق.

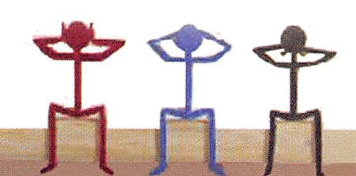
ومقصودنا بهذه العقلية هي إدراك الآخر في هيئته المختلفة عن بنيتنا الذاتية وتقبل حقيقة اختلافه عنا. فلا نفرض عليه نموذجنا الفكري ولا مركزيتنا العقلية، وإنما نستوعب عناصر التواصل الناجح. فالجواب التواصلي يكمن في جملة من العناصر، مثل:

إدراك الغير أو الآخر من خلال اعتباره كلية متحركة ومتعددة، وليس قالباً نموذجياً للإنسان الغربي المرتبط بديانته وأصوله اليونانية والرومانية.

ولنتذكر أن التمركز حول الذات، يغيّب عن مجالنا كل إمكانية للتواصل مع الآخر. فالآخر ليس إنساناً دونيّاً أو محتقراً، بل هو إنسان كامل الإنسية، يتناقض معنا، لكن له نقاط التلاقي _كذلك_ معنا.

إن خصوصيتنا الثقافية، لا تنفي الكونية واشتراكنا مع الغير في العديد من المرتكزات التي ينبغي التفاهم حولها من أجل صياغة مشروع حوار حضاري.

بداية الحوار تنطلق من حوارنا مع ذاتنا. فقد أثبت التاريخ الحديث أن وهم الواحدية قد انقشع، بحكم تعدد مكونات الجماعة وتناقضاتها الداخلية. ومادام



الحوار الداخلي غير قائم فإن الحوار مع الآخر هو مجرد ديكور يزين فسيفساء الهيئة الإعلامية للأنظمة.

إن تقديم الصورة الحقيقية عن الذات للآخر، يمر من قناة الاعتراف بأخطائنا الحوارية، وغياب نظرة متوازنة للآخر في أدبياتنا ومشتركنا الذهني.

وجملة القول، فإن سؤال الآخر لا يمكن الإجابة عنه بدون الإجابة _أولاً_ عن سؤال الذات، وتقويم رؤيتها لعناصر تركيبها.



أسماء مصطلحات وهوامش التقطتها ذاكرة القراءة:







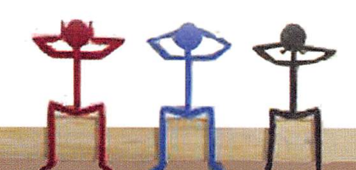


«١» رينيه ديكارت: (٣١ مارس ١٥٩٦ - ١١ فبراير ١٦٥٠)، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ«أبي الفلسفة الحديثة»، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصاً كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى-١٦٤١م) الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة. كما أن لديكارت تأثيراً واضحاً في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاماً رياضيّاً سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ(الهندسة التحليلية)، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسة في تاريخ الثورة العلمية. وديكارت هو الشخصية الرئيسة لمذهب العقلانية في القرن١٧ م، كما كان ضليعاً في علم الرياضيات، فضلاً عن الفلسفة، وأسهم إسهاماً كبيراً في هذه العلوم، وديكارت هو صاحب المقولة الشهيرة: «أنا أفكر، إذاً أنا موجود».

«٢» سارتر: جان-بول شارل ايمارد سارتر (٢١ يونيو ١٩٠٥ باريس - ١٥ أبريل ١٩٨٠ باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو و ناقد أدبي وناشط سياسى فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية.

«٣» لسان العرب: هو أشمل معاجم اللغة العربية وأكبرها، جمع ابن منظور مادته من خمسة مصادر.

«٤» أبو حامد الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الملقب بحجة



الإسلام وزين الدين (٤٥٠ هـ-٥٠٥ هـ)، مجدد القرن الخامس الهجري، أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين في التاريخ الإسلامي.

«٥» ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، تقي الدين أبو العباس النميري العامري، يلقبه أتباعه بشيخ الإسلام ولد يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول ٦٦١هـ هو أحد علماء المسلمين الحنابلة. ولد في حران وهي بلدة تقع حالياً في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات. وحين استولى المغول على بلاد حران وجاروا على أهلها، انتقل مع والده وأهله إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ فنشأ فيها وتلقى على أبيه وعلماء عصره العلوم المعروفة في تلك الأيام. كانت جدته لوالده تسمى تيمية وعرف بها. وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير. قرأ الحديث والتفسير واللغة وشرع في التأليف من ذلك الحين. بَعُدَ صيته في تفسير القرآن واستحق الإمامة في العلم والعمل وكان من مذهبه التوفيق بين المعقول والمنقول. يقال عنه إنه كان مقترحاً متحمساً للجهاد والحكم الشرعي، وقد كان أيضاً شخصاً مؤثراً في نمو حركة الإسلام السياسي.

«٦» زينون من إيليا: (زينون الإيلي) (٤٩٠ق.م - ٤٣٠ ق.م) أحد فلاسفة ما قبل سقراط عاش زينون في القرن الخامس قبل الميلاد، من إيليا وهي مدينة يونانية على الساحلِ الجنوبيِّ لإيطاليا. وهو من أنصار بارمنيدس في أن عالم الحس وهم باطل. طرح زينون الفكرة بشكل منطقي قائم على نفي الكثرة التي ترى الكون كله شيئاً واحداً لا يقبل التجزئة، وله نظريات عديدة منها نفيه للحركة.

«٧» أفلاطون: (بالإنجليزية: Plato / باليونانية: Πλάτων وتعني: واسع الأفق) ولد في أثينا (٤٢٧-٤٢٨ ق.م \ ٣٤٧-٣٤٨ ق.م) فيلسوف



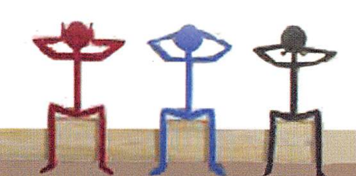
يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب العديد من الحوارات الفلسفة، ويعتبر المؤسس لأكاديمية أثينا، وأنشأ أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي بجانب معلمه سقراط وتلميذه أرسطو، وساعد أفلاطون على وضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم. أفلاطون كان تلميذاً لسقراط، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدام سقراط الظالم.

نبوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية: ٣٦ محاورة و١٣ رسالة نسبت إليه. كتب أفلاطون محاوراته في عدة موضوعات مختلفة: الفلسفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقيا.

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%81%D9%84%D8%A7%D8%B7%D9%88%D9%86

«٨» أرسطو: أرسطو أو أرسطوطاليس أو أرسطاطاليس Ἀριστοτέλης (٣٨٤ ق.م - ٣٢٢ ق.م) فيلسوف إغريقي، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. كتب في العديد من الموضوعات، بما في ذلك علوم الفيزياء والميتافيزيقا، الشعر، المسرح، الموسيقى، والمنطق والبلاغة والسياسة والحكومة، والأخلاق، والبيولوجيا، وعلم الحيوان.

«٩» الرواقيون: الرواق يعني « ستوي « باليونانية وهو الممر الضيق، وكان الرواق محل اجتماع الفلاسفة والشعراء ومكان ممارسة التعليم والمحاورة. وهنا نقصد رواق هياكل أثينا وهم جماعة. اعتقد الرواقيون أن السعادة تتحقق، حين يتعلم الناس أن يتقبلوا الأحداث الخارجة عن نطاق قدراتهم، وعليهم أن يؤدوا واجباتهم. وبالتغاضي عن كل الرغبات والمتع والسعي إلى الفضيلة.



http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=301e2d6fa949a31c

«١٠» سينيكا (لوكيوس أنّايوس): (٤ق.م ـ ٦٥م) لوكيوس أنّايوس سينيكا Lucius Annaeus Seneca فيلسوف وخطيب وكاتب مسرحي روماني، كتب أعماله باللغة اللاتينية. ولد في قرطبة Corduba في إسبانيا وتوفي بالقرب من روما Roma. ويلقب بسينيكا الفيلسوف أو الأصغر تمييزاً له عن والده الخطيب الشهير. تزوج في سن باكرة ومات ابنه الوحيد طفلاً. أقام مدة في مصر ضيفاً لدى خالته زوجة غايوس غالِريوس Gaius Galerius حاكم مصر الروماني بين ١٦ ـ ٣١م. تعلم في صباه النحو والخطابة، وحينما استهوته الفلسفة تتلمذ على يد الفلاسفة الفيثاغوريين [فيثاغورس]، وبوحي منهم غدا نباتيّاً. وكان صديقاً مقرباً من الفيلسوف ديميتريوس Demitrius، فتشرب منه الفلسفة الكلبية Cynicism كما تشرب الفلسفة الرواقية Stoicism من أتّالوس Attalus، إذ كان يعده آنئذ أستاذاً وإلهاً.

«١١» ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا: تبحث في دراسة مبادئ الحقيقة المتجاوزة تلك التي في أي علم معين. الكسمولوجيا والأنطولوجيا فروع تقليدية للميتافيزيقا. تعنى بشرح الطبيعة الأولية للوجود والعالم.

«١٢» جان جاك روسو: (٢٨ يونيو ١٧١٢-٢ يوليو ١٧٧٨) فيلسوف سويسري، كان أهم كاتب في عصر العقل. وهو فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة.

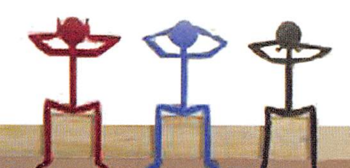


«١٣» الكلاسيكية الألمانية: أو (ما تسمى بالمثالية الألمانية) German idealism was a philosophical movement in Germany in the late eighteenth and early nineteenth centuries. وهي حركة فلسفية ظهرت في ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر في وقت مبكر. وكثرت في أعمال الفيلسوف إيمانويل في ١٧٨٠م وَ ١٧٩٠م ، وكان يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع كل من الرومانسية والسياسة الثورية للتنوير. The most well-known thinkers in the movement were Immanuel Kant, Johann Gottlieb Fichte, Friedrich Schelling, and Georg Wilhelm Friedrich Hegel. وكان معظم المفكرين المعروفين في حركة إيمانويل كانط ،مثل يوهان غوتليب فيتشت ، شيلينج فريدريش ، وجورج ويلهلم فريدريك هيغل.

المعنى الفلسفي للمثالية هنا هو أن نكتشف في خصائص الكائنات، تعتمد على الطريقة التي يبدو فيها أن هذه الكائنات لنا كأشخاص إدراك ، وليس شيئاً ما يملكون «في حد ذاتها» ، وبصرف النظر عن تجربتنا منهم. مفهوم جدّاً من «الشيء في ذاته» ينبغي أن يفهم باعتباره خياراً من مجموعة من الوظائف لتشغيل العقل، تلك التي نعتبرها شيئاً يبدو دون احترام للطريقة المحددة التي تبدو.

«١٤» الماركسية: الماركسية مصطلح يدخل في علم الاجتماع والاقتصاد السياسي والفلسفة. سميت بالماركسية نسبة لمنظر الماركسية الأول كارل ماركس.

«١٥» الجدل «الترانسدنتالي»: (أي الأحكام التي تتخذ موضوعات لها تتجاوز حدود التجربة).



«١٦» إيمانويل كانت: (بالألمانية: Immanuel Kant). (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فيلسوف من القرن الثامن عشر، ألماني من بروسيا ومدينة كونغسبرغ. كان آخر فيلسوف مؤثر في أوروبا الحديثة في التسلسل الكلاسيكي لنظرية المعرفة خلال عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين جون لوك، جورج بركلي وديفيد هيوم.

«١٧» جورج ويلهلم فريدريك هيغل :(بالإنجليزية: Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (٢٧أغسطس ١٧٧٠- ١٤نوفمبر ١٨٣١) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، فورتيمبيرغ، في المنطقة الجنوبية الغربيةِ من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

«١٨» كارل ماركس (٥ مايو ١٨١٨ إلى ١٤ مارس ١٨٨٣): كان فيلسوفًا ألمانيًّا، سياسي، وصحفي ،ومنظّر اجتماعي. قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هي ما أكسبه شهرة عالمية. لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي. وقد شكل وقدم مع صديقه فريدريك إنجلز ما يدعى اليوم بالاشتراكية العلمية. (الشيوعية المعاصرة).

«١٩» فريدريك إنجلز: (بالإنجليزية: Frederich Engels) صديق ماركس وزميله، وضعا معاً الفكر الماركسي.ولد سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٩٥م.عكف إنجلز، منذ أول عهده، على دراسة المشكلات

الفلسفية الأخلاقية في إطار نقد المجتمع الطبقي، والبرجوازي.

«٢٠» الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم: محمد بن راشد آل مكتوم (٢٢ يوليو ١٩٤٩ -)، نائب رئيس الدولة ورئيس مجلس الوزراء في دولة الإمارات العربية المتحدة وحاكم إمارة دبي.

«٢١» زيد بن ثابت: زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري من المدينة النبوية. يوم قدم نبي الإسلام محمد بن عبد الله _عليه الصلاة والسلام_ للمدينـة كان يتيمـاً، (والده توفي يوم بُعاث) وسنه لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، وأسلـم مع أهلـه وباركه الرسول محمد _عليه الصلاة والسلام_ بالدعاء. صحبه آباؤه معهم إلى غزوة بدر، لكن الرسول محمداً _صلى الله عليه وسلم_ رده لصغر سنه وجسمه. وفي غزوة أحد ذهب مع جماعة من أترابه إلى الرسول محمد _صلى الله عليه وسلم_ يرجون أن يضمهم للمجاهدين وأهلهم كانوا يرجون أكثر منهم، ونظر إليهم الرسول _صلى الله عليه وسلم_ شاكراً وكأنه يريد الاعتذار، ولكن (رافع بن خديج) وهو أحدهم تقدم إلى الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وهو يحمل حربة ويستعرض بها قائلاً: (إني كما ترى، أجيد الرمي فأذن لي)، فأذن له. وتقدم (سمرة بن جندب) وقال بعض أهله للرسول _عليه الصلاة والسلام_: (إن سمرة يصرع رافعاً)، فحياه الرسول _عليه الصلاة والسلام_ وأذن له. وبقي ستة من الأشبال منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر، وبذلوا جهدهم بالرجاء والدمع واستعراض العضلات، لكن أعمارهم صغيرة، وأجسامهم غضة، فوعدهم الرسول _عليه الصلاة والسلام_ بالغزوة المقبلة. وهكذا بدأ زيد مع إخوانه دوره، كما هو مسمى في الإسلام، كمقاتل في سبيل

الله بدءاً من غزوة الخندق، سنة خمس من الهجرة. وكانت مع زيد راية بني النجار يوم تبوك، وكانت _أولاً_ مع عُمارة بن حزم، فأخذها النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_ منه، فدفعها لزيد بن ثابت، فقال عُمارة: (يا رسول الله ! بلغكَ عنّي شيءٌ ؟)، قال الرسول _عليه الصلاة والسلام_: (لا، ولكن القرآن مقدَّم).

«٢٢» المهدي المنجرة: باحث ومفكر وعالم مستقبليات مغربي، مقيم في أمريكا، وله عدة أبحاث ونظريات مستقبلية .

«٢٣» الليبرالية: (بالإنجليزية: Liberalism) اشتقت كلمة ليبرالية من ليبر liber وهي كلمة لاتينية تعني الحر. والليبرالية حاليّاً مذهب أو حركة وعي اجتماعي سياسي داخل المجتمع، تهدف لتحرير الإنسان كفرد وكجماعة من القيود السلطوية الثلاثة (السياسية والاقتصادية والثقافية)، وقد تتحرك وفق أخلاق وقيم المجتمع الذي يتبناها. تتكيف الليبرالية حسب ظروف كل مجتمع، إذ تختلف من مجتمع إلى مجتمع. والليبرالية _أيضاً_ مذهب سياسي واقتصادي معاً، ففي السياسة تعني تلك الفلسفة التي تقوم على استقلال الفرد والتزام الحريات الشخصية وحماية الحريات السياسية والمدنية.

«٢٤» صاموئيل فلبس هنتنجتون: Samuel Phillips Huntington. (ولد ١٨ أبريل ١٩٢٧ - توفي ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨) أستاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيكونون الحضارات وليس الدول القومية. كما استحوذ



على الانتباه لتحليله للمخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة. درس في جامعة يال، وهو أستاذ بجامعة هارفارد.

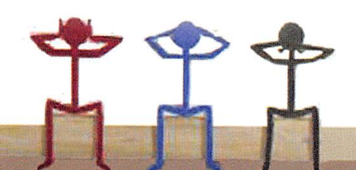
«٢٥» يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما: كاتب ومفكر أمريكي الجنسية من أصول يابانية ولد في مدينة شيكاغو الأمريكية عام ١٩٥٢م. يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد. من كتبه كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) و (الانهيار أو التصدع العظيم).

«٢٦» فؤاد عجمي: كاتب سياسي أمريكي من أصل لبناني، ولد في لبنان عام ١٩٤٥ من أصل فارسي وهو من الأصوات _في الولايات المتحدة_ التي تساند احتلال العراق وهو مساند كبير للحكومة الأمريكية. وقد دافع عن انتهاكات حقوق الإنسان من قبل الجيش الأمريكي في العراق، خصوصاً في سجن أبو غريب.

«٢٧» برنارد لويس: (من مواليد ٣١ مايو ١٩١٦، لندن) أستاذ فخري لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب. وتشتهر _خصوصاً_ أعماله على تاريخ الإمبراطورية العثمانية. وهو أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين.

«٢٨» كوفي عنان: (٨ أبريل ١٩٣٨) دبلوماسي غاني والأمين العام السابع للأُمم المتحدة ١٩٩٧-٢٠٠٧م متزوج من المحامية ناني عنان ولديهما ثلاثة أطفال.

«٢٩» توني بلير (٦ مايو ١٩٥٣ -): رئيس وزراء المملكة المتحدة من عام ١٩٩٧ إلى عام ٢٠٠٧ وذلك لثلاث فترات رئاسية متتالية، كما



رأس حزب العمال البريطاني منذ عام ١٩٩٤ ولغاية ٢٠٠٧. عندما تولى الحكم في ٢ مايو ١٩٩٧ لم يكن قد أكمل عامه الرابع والأربعين (أكمله يوم ٦ مايو ١٩٩٧)، وهو بذلك أصغر من تولى منصب رئيس الوزراء منذ عهد روبرت جنكنسون الذي تولى الحكم عام ١٨١٢، وفي مايو ٢٠١٠ حطم ديفيد كاميرون رقمه لأنه كان أصغر من سن الرابعة والأربعين بعدة أشهر عندما تولى منصب رئيس الوزراء. شغل أيضاً عدة مناصب منها اللورد الأول للخزنة، ووزير الخدمة الشعبية، وعضو البرلمان البريطاني لمنطقة سجفيلد في شمال شرق إنكلترا. درس القانون، وعمل في المحاماة في الفترة ما بين ١٩٧٦ - ١٩٨٣م، ليقتحم بعدها العمل السياسي مع حزب العمال.

«٣٠» الأيديولوجيا أو العقيدة السياسية أو الفكرية: يترجمها البعض إلى الفكرانية و هي مجموعة منظمة من الأفكار تشكل رؤية متماسكة شاملة وطريقة لرؤية القضايا والأمور التي تتعلق بالأمور اليومية أو تتعلق بمناح فلسفية معينة سياسية بشكل خاص. أو قد تكون مجموعة من الأفكار التي تفرضها.

«٣١» بيدهام براون: كاتب إنجليزي كتب في عام ١٩٩٤ يطالب العالم الإسلامي بضرورة الانسجام مع الاقتصاد الحديث، وقبول فكرة المساواة بين الرجل والمرأة.

«٣٢» ريتشارد هاريس: مؤلف يعمل محرراً بصحيفة الديلي.

«٣٣» معركة بواتييه: معركة بلاط الشهداء أو معركة بواتييه وقعت ١٠ أكتوبر ٧٣٢م بين قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات

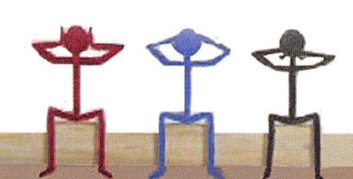


الإفرنج بقيادة تشارلز مارتل. هُزم المسلمون في هذه المعركة وقُتل قائدهم، وأَوقفت هذه الهزيمة الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وحفظت المسيحية كديانة سائدة فيها.

«٣٤» الدولة البيزنطية: الإمبراطورية البيزنطية (باللغة اليونانية، Βασιλεία τῶν Ρωμαίων) هي إمبراطورية تاريخية كانت عاصمتها القسطنطينية (بيزنطة). وكان يطلق عليها الإمبراطورية الرومانية الشرقية وكلمة بيزنطي اخترعها مؤرخ ألماني يدعى (هيرونيموس ولف) سنة ١٥٥٧م ونشرها الفرنسيون في القرن الثامن عشر للإشارة للإمبراطورية الرومانية الشرقية.

رعايا الإمبراطورية كانوا يستخدمون كلمة روماني وكان إمبراطورهم يدعى الإمبراطور الروماني. عاشت الإمبراطورية البيزنطية ما يزيد على أحد عشر قرناً ونيف من الزمان وظلت قائمة حتى عام ١٤٥٣م. وكانت معبراً للقوافل التجارية بين الشرق والغرب.

كانت الإمبراطورية البيزنطية تضم عند تقسيم الإمبراطورية الرومانية قبيل وفاة الإمبراطور ثيوديسيوس، الأناضول بآسيا واليونان وجزر بحر إيجة وأرمينية وآسيا الصغرى وسوريا ومصر وبرقة،وعندما اعتلى الإمبراطور جستنيان العرش بدأ في تنفيذ مشروعه بتوحيد الإمبراطورية الرومانية الكبرى مرة أخرى، فاستطاع في غضون ٣٠ عاماً تقريباً، ضم شمال أفريقيا، وجنوب أسبانيا، إقليم دلماشيا، وإيطاليا، بالإضافة إلى استيلائه على جزر البحر المتوسط مثل سردينيا وكورسيكا، وبذلك أصبح البحر المتوسط بحيرة رومانية مرة أخرى.



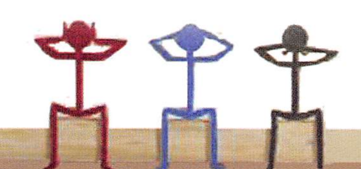
«٣٥» هتلر: أدولف ألويس هتلر ((بالألمانية: Adolf Hitler) ٢٠ أبريل ١٨٨٩ - ٣٠ أبريل ١٩٤٥) سياسي ألماني نازي، ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف للعامة باسم الحزب النازي. تولى أدولف هتلر حكم ألمانيا في الفترة ما بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٥ حيث شغل منصب مستشار الدولة (بالألمانية: Reichskanzler) في الفترة ما بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤٥، والفوهرر (بالألمانية: Führer) في الفترة ما بين عامي ١٩٣٤ و١٩٤٥. واختارته مجلة تايم واحدًا من بين مائة شخصية تركت أكبر الأثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين. وباعتباره واحدًا من المحاربين القدامى الذين تقلدوا الأوسمة تقديرًا لجهودهم في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، انضم هتلر إلى الحزب النازي في عام ١٩٢٠ وأصبح زعيماً له في عام ١٩٢١. وبعد سجنه إثر محاولة انقلاب فاشلة قام بها في عام ١٩٢٣، استطاع هتلر أن يحصل على تأييد الجماهير بتشجيعه لأفكار تأييد القومية ومعاداة الشيوعية والكاريزما (أو الجاذبية) التي يتمتع بها في إلقاء الخطب وفي الدعاية. وفي عام ١٩٣٣، تم تعيينه مستشارًا للبلاد حيث عمل على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية وديكتاتورية وفاشية. وانتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن وهو الاستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيوي (بالألمانية: Lebensraum) (ويُقصد به السيطرة على مناطق معينة لتأمين الوجود لألمانيا النازية وضمان رخائها الاقتصادي) وتوجيه موارد الدولة نحو تحقيق هذا الهدف. وقد قامت قوة الدفاع التي أعاد بناءها بغزو بولندا في عام ١٩٣٩ مما أدى إلى اندلاع أوروبا بنار الحرب العالمية الثانية، وخلال ثلاث سنوات،



احتلت ألمانيا ودول المحور معظم قارة أوروبا وأجزاء كبيرة من أفريقيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي. ومع ذلك، نجحت دول الحلفاء في أن يكون لها الغلبة في النهاية.

«٣٦» موسوليني: ببينيتو موسوليني (٢٩ يوليو ١٨٨٣ - ٢٨ أبريل ١٩٤٥) هو حاكم إيطاليا ما بين ١٩٢٢ و١٩٤٣. كان موسوليني في فترة حكمه رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزير الخارجية والداخلية. من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها. سمي ب الدوتشة (بالإيطالية: Il Duce) أي القائد. دخل حزب العمال الوطني ولكنه خرج منه بسبب معارضة الحزب لدخول إيطاليا الحرب. عمل موسوليني في تحرير صحيفة أفانتي (إلى الأمام) ومن ثم أسس ما يعرف بوحدات الكفاح التي أصبحت النواة لحزبه الفاشي الذي وصل به الحكم بعد المسيرة التي خاضها من ميلانو في الشمال حتى روما في الوسط. دخل الحرب العالمية الثانية مع دول المحور، وأعدم مع أعوانه السبعة عشر في ميدان «دونجو» بميلانو على يد الشعب الإيطالي عام ١٩٤٥.

«٣٧» المسوخ اللغوية: مصطلح استحدثته الباحثة، لوصف اللغات الحديثة والتي لا تنتمي للغة معينة، كتلك (اللغة الإلكترونية) وهي كتابة الكلمات العربية بحروف أجنبية، وتتم قراءتها على أنها جمل عربية.







الهوامش

[١] الكولونيالية: نزوع الدولة الكبيرة إلى فرض سلطانها على البلدان الأخرى والاحتفاظ بسيطرتها عليها بمختلف الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية وذلك للحصول على كل المزايا الاقتصادية التي تطمع فيها الدولة المستعمرة. انظر: الموسوعة العالمية ويكيبيديا.

[٢] الاستشراق: تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث عن أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يمثل إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.

[٣] عبد الواحد علواني، دماء من أجل السماء، مركز الناقد الثقافي ط ١ دمشق ٢٠٠٨ م ص١٢١.

[٤] علاء الدين آل رشي، إسلام بلا مشايخ (روائع أفكار الصادق النيهوم)، مركز الناقد الثقافي ط ١ دمشق ٢٠٠٨ م ص١١.

[٥] الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، رؤيتي ط ١ ٢٠٠٧ م ص٦١.

[٦] أحمد زويل، حوار الحضارات، دار الشروق ط ١ القاهرة ٢٠٠٧ م ص٢٧.

[٧] وإلى هذا ألمح الدكتور عبد الكريم بكار في أكثر من موضع، حيث يصعب التعميم انظر مثلاً: تجديد العقلية الإسلامية.

[٨] انظر في رفض هذه الفكرة: ما ذكره الدكتور عبد الحليم أبو شقة في كتاب نقد العقل المسلم فصل نحن والحضارة الغربية.



[٩] من أفضل ما اطلعت عليه، من كتاب يقدم حلولاً وأفكاراً جديدة في العلاقة مع الغرب؛ عيال الله، للمفكر التونسي محمد الطالبي.

[١٠] عبد الواحد علواني، دماء من أجل السماء، مركز الناقد الثقافي ط ١ دمشق ٢٠٠٨ م ص ٢٣٠ بتصرف.

[١١] انظر: ما كتبه الدكتور محمد محمد حسين في كتابه الإسلام والحضارة الغربية فهو من الكتب التي تمثل التيار الشامت بالحضارة الغربية والمبشر بقرب الانهيار. وكذلك الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في الكثير من كتاباته. وقد أسهما وبشكل كبير في قطع الصلة مع الغرب، عبر تأسيس أبستمولوجي قائم على الرفض والاستنكار.

[١٢] عبد الواحد علواني، دماء من أجل السماء، مركز الناقد الثقافي ط ١ دمشق ٢٠٠٨ م ص١٢٨ بتصرف.



المراجع والمصادر

(١) بيروت: ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ الموافق في ٢٨ حزيران - يونيو ٢٠٠٤ الحوار والوحدة «الحوار مع الغرب منطلقات وآفاق»

http://arabic.bayynat.org.lb/alwihda/mohadara28062004.htm

(٢) دار الكتب / المكتبة الرئيسة ،لمكتبة العامة ،أعلام الحوار مفهومه وأهدافه وركائزه: فاضل بشناق،صـ١

http://www.kl28.com/books/showbook.php?bID=174&pNo=2#start

(٣) منيرة الحميدان / باب .com/ الحياة الزوجية -الحوار بين الزوجين فن.

http://www.bab.com/articles/full_article.cfm?id=6604

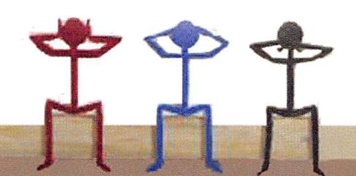
(٤) مقالات النجاح نت: بواسطة: عبد الرحمن الحرمي، بتاريخ: الأحد ٢٦ يـولـيـــو ٢٠٠٩.

(٥) الصراعات المذهبية في المنطقة العربية نقلاً عن صحيفة «الحياة» اللندنية/ د مصطفى الفقي

http://www.alarabiya.net/views/2007/03/13/32513.html.

(٦) دار الكتب / المكتبة الرئيسة ،المكتبة العامة ،أعلام الحوار مفهومه وأهدافه وركائزه: فاضل بشناق،صـ٦

http://www.kl28.com/books/showbook.php?bID=174&pNo=6#start



(٧) بيروت: ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ الموافق في ٢٨ حزيران - يونيو ٢٠٠٤ الحوار والوحدة > «الحوار مع الغرب منطلقات وآفاق» لا حدود للحوار.

http://arabic.bayynat.org.lb/alwihda/mohadara28062004.htm

(٨) الموسوعة العربية / المجلد السابع >> العلوم الإنسانية>> الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد / (الجدل) منيرة محمد

http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia
&func=display_term&id=9914

(٩) لماذا الحوار مع الغرب؟ هل هو تكتيك أم إستراتيجية أم هدف ورسالة؟ علاء الدين آل رشي.

(١٠) ١- القرآن الكريم

٢- أساس البلاغة ابن منظور محمد بن مكرم دار صادر بيروت ١٤١٢ هـ

٣- آداب الحوار في الإسلام د سيد طنطاوي : نهضة مصر يونيو ١٩٩٧

٤- آداب الحوار والمناظرة، المستشار الدكتور علي جريشة دار الوفاء ط ٢ / ١٤١٢هـ ١٩٩١ م

٥- آدب الدنيا والدين أبو الحسن الماوردي دار الفكر ط ٣ (تحقيق مصطفى السقا)

٦- الإسلام. .. والغرب قضايا ومواقف د حسن عزوزي أنفو برانت ط ٢ ١٩٩٩

٧- الإسلام والغرب والعولمة حسن أوريد كتاب الجيب منشورات جريدة



الزمن الكتاب ٦ ط ٢ ٢٠٠٥

٨- الإسلام والعالم بين التسامح والتعصب رمضان أحمد عبد ربه عصفور مكتبة وهبة مصر (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)

٩- الإسلام وأوروبا تعايش أم مجابهة انجمار كالسون (ترجمة سمير يوناني) مكتبة الشروق الدولية ط ١ ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

١٠- أصول الجدل وآداب المجادلة في القرآن الكريم محمد علي نوح قوجيل جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ١٤٢٦

١١- التحرير والتنوير ابن عاشور محمد الطاهر الدار التونسية تونس ١٩٨٤ م

١٢- جامع البيان عن تأويل القرآن الطبري أبو جعفر محمد بن جرير مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٥ - ١٩٩٤ م

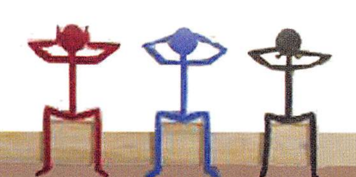
١٣- الجدل القرآني بين أساليب الدعوة الإسلامية د. يوسف عبيد دار الطباعة المحمدية القاهرة ط ٢ ١٤٠١ - ١٩٨٧

١٤- الحكومة الإسلامية أبو الأعلى المودودي الدار السعودية للنشر والتوزيع بالسعودية ١٤٠٤ هـ -١٩٨٤ م

١٥- الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية المغامسي خالد محمد مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ١٤٢٥ هـ

١٦- الحوار الإسلامي المسيحي : عجك بسام دار قتيبة دمشق ط ١ ١٤١٨ هـ

١٧- الحوار أصوله وآدابه السلوكية : الضويان أحمد عبد الله دار الوطن الرياض ط ١



١٨- حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار العليان عبد الله علي المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان ط ١ ٢٠٠٤

١٩- الحوار في القرآن قواعده أساسه معطياته فضل الله محمد حسين دار المنصورة للنشر الجزائر

٢٠- الدعوة إلى الله : الرسالة - الهدف مكتبة الفلاح - الكويت ط ١ ١٤٠٦ ١٩٨٦ م

٢١- روح الدين الإسلامي : عفيف عبد الفتاح طبارة دار العلم للملاين بيروت ١٣٩٤ ه - ١٩٧٤ م ط١٢

٢٢- كتاب جمهرة اللغة : ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسين (تحقيق رمزي بعلبكي) دار الملايين نونبر ١٩٨٧

٢٣- مباحث علوم القرآن - مناع القطان مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٧ ١٤٠٠ه- ١٩٨٠ م

٢٤- محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية : البستاني المعلم بطرس مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٧

٢٥- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (مجموعة مؤلفين) مكتبة بريل في ليدن ١٩٣٦

٢٦- معجم المقاييس في اللغة ابن فارس أبو الحسن أحمد: مؤسسة الرسالة ٢ ١٤٠٦- ٢٦مكرراً - معجم المقاييس في اللغة ابن فارس دار الفكر بيروت ط ٢ ١٤١٨



٢٧- معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية دار إحياء التراث ١٤٠٩ ه ١٩٨٩ م

٢٨- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن ابن خلدون دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٦

٢٩- مناهج الجدل في القرآن : الألمعي زاهر عواض : مطابع الفرزدق (د ت ط)

٣٠- النص الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر د سعيد شبار منشورات الفرقان ط ١ ١٩٩٠

٣١- صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ٣١ مكرراً - صحيح مسلم: الإمام مسلم

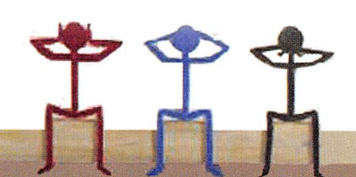
٣٢- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د يوسف القرضاوي كتاب الأمة ع ٦ شوال ١٤٠٦ ه

٣٣- العقل العربي وإعادة التشكيل د عبد الرحمن الطريري كتاب الأمة ع ٣٥ ط ١ مركز البحوث والمعلومات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت شوال .....

٣٤- الغرب والإسلام والصراع الحضاري : حميد السعدون دار وائل ٢٠٠٢

٣٥- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة محمد سعيد رمضان اليوطي دار الفكر - دمشق سورية ط ١١ (١٤١٢ ه - ١٩٩١ م)

٣٦- الفروق (وبهامشه القواعد الست في الأسرار الفقهية لابن الشاط) للإمام العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن



الصنهاجي المشهور بالقرافي (تحقيق د عبد الحميد هنداوي) المكتبة العصرية بيروت ط ١ ١٤٢٣ ه – ٢٠٠٢ م

٣٧- في البناء الحضاري للعالم الإسلامي د عبد العزيز بن عثمان التويجري منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة : إيسيسكو ١٤١٨ ه ١٩٩٧ م

٣٨- في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق بيروت ط ٧ – ١٩٧٨ م

٣٩- في العقيدة والحياة الإسلام والمسيحية بحوث في نظام القيم المعاصرة سماحة نعيم قاسم: معهد الدراسات الإسلامية للمعارف العلمية دار الهادي لبنان ط ١ ١٤٢٣ ه – ٢٠٠٣ م

٤٠- هل يشكل الإسلام خطراً على الغرب عبد الله فهد النفيسي : سلسلة مقالات عني بتحريرها وإضافة هوامشها ساجد العبولي المطيري المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ١ ٢٠٠٣

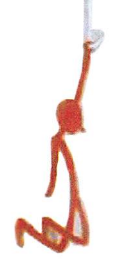
٤١- الوجيز في المدخل إلى دراسة تفسير القرآن الكريم د محمد يعقوبي خبيزة مطبعة إنفوبرنيت

٤٢- لسان العرب ابن منظور محمد بن مكرم دار صادر بيروت ١٤١٢ ه

(١١) ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعسع (مكتبة المعارف، بيروت ١٩٨٢).

(١٢) إمام الإمام، المنهج الجدلي عند هيغل (دار التنوير، بيروت ١٩٨٢).

(١٣) السلام والدين في الإسلام (حوار الحضارات / الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري حسن عزوزي



http://science-islam.net/article.php3?id_article=567&lang=ar

(١٤) خطاب أوباما من القاهرة هل يكون بداية لحوار الحضارات ؟/ روجيه جارودي - في سبيل حوار الحضارات - ترجمة عادل العوا - عويدات للنشر - بيروت ص ٩-١٠-١١.

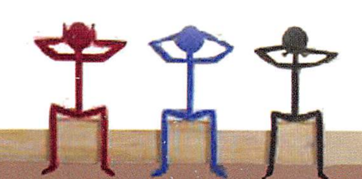
(١٥) - د. نادية محمود مصطفى: العولمة والعلاقات الدولية (في) د. سيف الدين عبد الفتاح (محرر) العولمة والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨.

- د. نادية محمود مصطفى: التحديات السياسية الخارجية للعالم الإسلامي (في) رابطة الجامعات الإسلامية. أعمال مشروع تحديات العالم الإسلامي في نهاية القرن العشرين، ١٩٩٩ (الفصل الأول).

- د. نادية محمود مصطفى: البُعْد الثقافي للشراكة الأوروبية المتوسطية (في) د. سمعان بطرس فرج الله (محرر) أعمال ندوة مستقبل الترتيبات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وتأثيرها على الوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٨.

- د. نادية محمود مصطفى: التحديات السياسية الخارجية للعالم الإسلامي... مرجع سابق (الفصل الثاني: وضع الإسلام والمسلمين في الفكر الإستراتيجي الغربي في نهاية القرن العشرين: من أطروحات صدام الحضارات إلى أطروحات التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة).

- د. نادية محمود مصطفى: التعاون الثقافي مع المؤسسات الغربية (في) أعمال المؤتمر الحادي عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت



عنوان: نحو مشروع حضاري إسلامي، يونيو (١٩٩٩).

- د. نادية محمود مصطفى: إستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب بحث مقدم إلى اجتماع خبراء الإيسيسكو في برلين يوليو ٢٠٠٠.

- د. نادية محمود مصطفى: حوار الحضارات على ضوء العلاقات الدولية الراهنة (في) كتاب أعمال ندوة «كيف سندخل سنة حوار الحضارات (٢٢-٢٣/ ١١/ ٢٠٠٢) المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، ٢٠٠١ ص ١٤٥-٢١٠.

- د. نادية محمود مصطفى: (الأبعاد الثقافية والحضارية في أحداث الحادي عشر من سبتمبر ومستقبل حوار الحضارات) في ندوة مستقبل حوار الحضارات بعد الحادي عشر من سبتمبر: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، يناير ٢٠٠٣.

- د. نادية محمود مصطفى: التحديات الحضارية الخارجية للعالم الإسلامي (في) العدد الخاص من حولية أمتي في العالم تحت عنوان «الأمة في قرن (٢٠٠٠) الكتاب السادس، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ٢٠٠٣.

- د. نادية محمود مصطفى (محرر): السياسة الأمريكية تجاه الإسلام والمسلمين: بين الأبعاد الثقافية الحضارية وبين الأبعاد الإستراتيجية. سلسلة محاضرات برنامج حوار الحضارات (رقم ١)، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٢.

- د. نادية مصطفى، د. علا أبو زيد (محرران): خطابات عربية وغربية



في حوار الحضارات. برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٤.

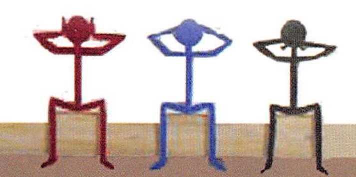
- د. نادية مصطفى: إشكاليات الاقتراب من مفهوم حوار الحضارات، حولية «أمتي في العالم»، العدد الثالث، مركز الحضارة للدراسات السياسية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- د. نادية مصطفى: تحديات العولمة والأبعاد الثقافية الحضارية والقيمية (رؤية إسلامية) (في) مجموعة مؤلفين: مستقبل الإسلام، دار الفكر العربي، دمشق، ٢٠٠٤.

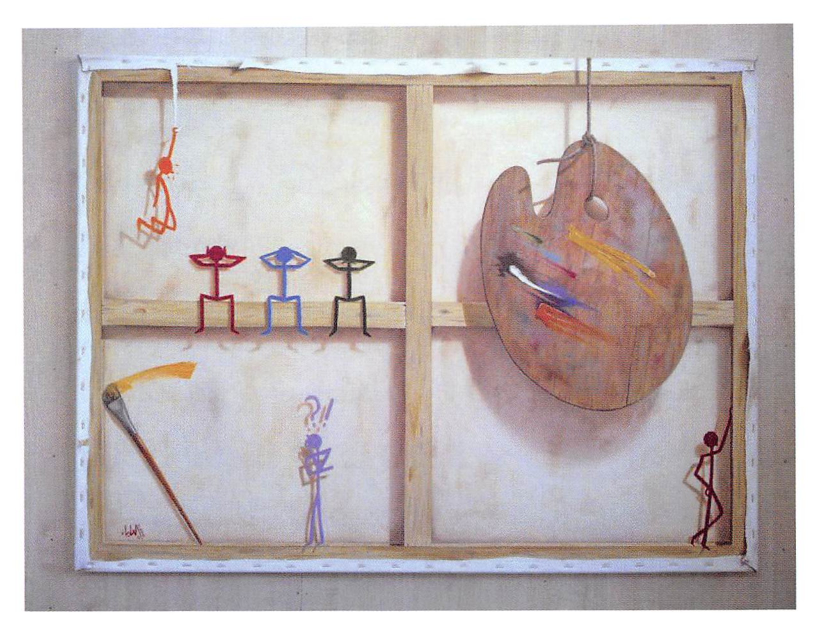
(١٦) الوعي الإسلامي ←← التصنيف الرئيس ←قضايا إسلامية / حتى لا يكون الحوار الحضاري يداً معلقة في الهواء/

(١٧) وسائل الإعلام .. هي الصانع الأول للرأي في الغرب وغيره/ نقلاً عن صحيفة الوطن ١ / ٤ / ٢٠٠٨

(١٨) الفسطاط المجلة التاريخية/ جذور النظرة الغربية إلينا/ أحمد فال بن الدين*كاتب موريتاني مقيم بأمريكا.

http://www.fustat.com/muawat/shenqiti.shtml





لوحة الغلاف (لا أسمع لا أرى لا أتكلم): للتشكيلي السعودي (صالح العليان)

تصميم الغلاف وصور البحث : t&t

ملاحظات :

« » : نقط بداية ونهاية الاقتباسات .

(( )) : كلمات من نسج بنات فكر الباحثة .

«١ ، ٢ ، ٣» : مصطلحات وأسماء معرفة في هوامش البحث .

(١ ، ٢، ٣): مراجع ومصادر/ (١*) اقتباسات من مصدر سبق الإشارة له .

الفهرس





